ملحٌ و دموعٌ

أنطوان مسعود

بيت الحكمة
hachette أنطوان .A



مِلحٌ وَدُموعٌ

بيت الحكمة
بيروت

ملحٌ و دموعٌ

أنطوان مسعود

الضّبط اللّغويّ والاستثمار التّربويّ: خليل السّيقلي
الغلاف، التّصميم والرّسم: ساندرا غصن
الدّاخل، الرّسوم: جوزف دكّاش

هاشيت
أنطوان A.
تربية

مِلحٌ وَدُموعٌ

متابعة النّشر: نيكول عقيقي المصوّر

التّصميم المنهجيّ: Christie's *for printing and advertising*

ر.د.م.ك. 4 – 330 – 26 – 9953 – 978

النّاشر: هاشيت أنطوان Hachette Antoine

الطّبعة الأولى 2011

ص.ب. 0656-11، رياض الصّلح

1107 2050 بيروت، لبنان

العنوان التّجاريّ: سنّ الفيل، حرج تابت، بناية فورست

هاتف: 483513 – 1 – 961

بريد إلكترونيّ: info@hachette-antoine.com

قصّة

مِلحٌ وَدُموعٌ

في **كَنَفِ** الجبلِ الأخضرِ الشّامخِ، وفي هَدأةِ الطّبيعةِ البِكرِ، بيتٌ صغيرٌ تَحِفُّ به الغاباتُ مِن كلِّ صَوبٍ. وصاحبةُ البيتِ امرأةٌ عَجوزٌ أثقلَتْ **كاهلَها** السُّنونَ، واحدَودَبَ ظَهرُها تحتَ عِبءِ الأيّامِ، فباتَتْ كأنَّها كُتلةٌ جامدةٌ مِن لحمٍ وعِظامٍ يَتعذَّرُ علَيها الحَراكُ. ولَكنَّ ذاكَ المَظهرَ كانَ كاذباً، لأنَّ العَجوزَ الطَّيِّبةَ تَنهَضُ باكراً صباحَ كلِّ يومٍ، فتَتناولُ عَصاها، وتَخرجُ إلى الغابةِ تَقطعُ الأعشابَ، وتَجمعُ الطّعامَ لإوَزِّها، وتَقطِفُ الثّمارَ البرِّيَّةَ، ثُمّ تَحمِلُ على ظَهرِها ما جَمَعَتْهُ

الكَنفُ: الجانبُ والنّاحيةُ والحِضنُ.

الكاهلُ: أعلى الظّهرِ.

مِن عُشبٍ وثَمَرٍ وَتعودُ إلى بيتِها. ومِن حينٍ إلى آخَرَ كانَتْ تَلقى في طَريقِها بعضَ سُكّانِ الغابةِ فتُبادِرُهم إلى التّحيّةِ مُبتسِمةً.

كانَتْ تَقولُ لمَن يَنظرُ إلَيها وهِي رازحةٌ تحتَ حِملِها الثّقيلِ:

ـ لا تَعجَبَنَّ مِن هَذا الأَمرِ، فعَلى كلِّ امرئٍ أن يَحمِلَ نصيبَهُ مِنَ الأثقالِ.

فكانَ جيرانُها يُعرِضونَ عَنها مُتوجّسينَ لَدى مُشاهَدتِها شرّاً. وكانَ الآباءُ يَقولونَ لأولادِهِم:

ـ حَذارِ مِن هَذهِ العَجوزِ القبيحةِ، إنَّها ساحرةٌ، ماكرةٌ كالشَّيطانِ.

في ذَلكَ الصّباحِ وَلَجَ الغابةَ شابٌّ وسيمُ الطَّلعةِ، مَمشوقُ القَوامِ، جَميلُ الهِندامِ. كانَتِ الشَّمسُ ساطعةً، والطّيورُ في بهاءِ الطّبيعةِ تُنشدُ ألحانَ السّعادةِ والنَّشوةِ. راحَ الشّابُّ يَتنقَّلُ بينَ الأَشجارِ والأَزهارِ مأخوذاً

رازحةٌ: تكادُ تَسقطُ وتَلصَقُ بالأَرضِ تَعَباً وهُزالاً.

الهِندامُ: حُسنُ القَدِّ واعتدالُه.

بِسحرِ الغابةِ، مَرِحاً، مُنشرِحَ النَّفْسِ، خفيفَ الخُطى. وبَقيَ هَكذا وقتاً طويلاً، بينَ لَهْوٍ ومُتعةٍ واكتشافٍ، ثُمَّ هَمَّ بالعَودةِ مِن حَيثُ أَتى، ولَم يَكُنْ قَد شاهدَ أحداً في الغابةِ. وحانَتْ مِنهُ التِفاتةٌ إلى زاويةٍ مِن زَوايا الغابِ، فَرَأى العَجوزَ السّاحرةَ جاثيةً تَقطعُ العُشبَ بِمِنْجَلٍ صغيرٍ، وأمامَها سَلّتانِ كبيرتانِ مليئتانِ بالتُّفّاحِ البَرّيِّ والإجّاصِ. تَقدَّمَ الشّابُّ مِنها، فحَيّاها ثُمَّ سأَلَها:

ـ أَتَظُنّينَ أنّكِ قادرةٌ على نَقلِ هَذا الحِملِ بكامِلِهِ مِن غيرِ مُساعَدةٍ؟

فأَجابَتْ:

ـ هَذا أمرٌ لا مَفرَّ مِنهُ. ولا عَجبَ في تَساؤلِكَ، لأنَّ أَمثالَكَ مِن أبناءِ الأَغنياءِ لا يَبذُلونَ أيَّ جَهدٍ، بَل يُحوِّلونَ الأَعمالَ الجَسديَّةَ المُرهِقةَ إلى عُمّالِهِم وفَلّاحيهِم.

ثُمَّ استَطردَتِ العَجوزُ وقَد شجَّعَها مَوقِفُ الشّابِّ الّذي كانَ يَنظرُ إلَيها مُشفِقاً صاغياً:

ـ لكَ أَن تُساعدَني إذا شِئتَ؛ إنَّ كَتِفَيكَ مُستَقيمتانِ، وساقَيكَ الفَتيَّتَينِ مَتينَتانِ، فلا إخالُ هَذا الحِملَ ثَقيلاً



عنَيكَ. انظرْ، أَترى تِلكَ الهَضْبةَ هُناكَ؟ إنَّ بَيتي قائمٌ وراءَها، فلَنْ يَستغرِقَ **تَسنُّمُنا** الطَّريقَ إلَيهِ غيرَ دقائقَ مَعدوداتٍ.

تَحرَّكَتِ **المُروءةُ** في صَدرِ الشّابِّ، فرَدَّ على تَحدّي العَجوزِ بكِبرياءٍ، وقالَ:

ـ صحيحٌ أَنَّني ابنُ أميرٍ لَم أَعتَدْ حَمْلَ الأَثقالِ قَطُّ، ولَكنَّ أَمثالي قادرونَ على القيامِ بأيِّ عملٍ وقتَ الحاجةِ. وسَتَرَيْنَ الآنَ كيفَ يَسهُلُ عليَّ نَقلُ هَذهِ الأَحمالِ كلِّها دُفعةً واحدةً!

ـ إنَّ قَلبي لَينشرِحُ إذا فَعلْتَ هَذا. وفي أيِّ حالٍ لَن **يَضيرَكَ** أَن تَمشيَ ساعةً مِنَ الوقتِ!

تبدَّلَتْ مَلامحُ الشّابِّ عندَما سَمعَ بأَنَّ الرِّحلةَ سَوفَ تَستغرِقُ ساعةً؛ ولَكنَّ العَجوزَ لَم تَترُكْ له مجالاً للتَّردُّدِ، فتَناولَتْ كيسَ الأَعشابِ وشدَّتْهُ إلى ظَهرِهِ، ثُمَّ

التَّسنُّمُ. التَّسلُّقُ والرّكوبُ.
المُروءةُ. النَّخوةُ.
يَضيرُكَ. يُضِرُّ بكَ.

شَغلَتْ يدَيهِ بسَلَّتيها الثَّقيلتَينِ، وقالَتْ:

ـ ألا ترى أَنَّ الحِملَ **جِدُّ خَفيفٍ**؟

أَجابَ الشّابُّ بِحِدّةٍ:

ـ بَل أَجِدُه ثقيلاً جِدّاً، وأَراني مُنذُ اللَّحظةِ عاجزاً عَنِ التَّنفُّسِ والحَراكِ!

وهَمَّ بالخَلاصِ مِن حِملِهِ، ولَكنَّ العَجوزَ **حالَتْ دونَ** تَحقيقِ رَغبتِهِ إذ قالَتْ ساخرةً:

ـ يا لَهَذا الشّابِّ المِسكينِ، كيفَ أَضعفَ عزيمتَهُ حِملٌ تافهٌ أَحمِلُه كلَّ يومٍ، أنا العَجوزَ الهَرِمةَ! إنَّ شبابَ اليومِ يُجيدونَ الكلامَ ولا يُحسِنونَ غيرَهُ عملاً! هَيّا، كفاكَ **تلكُّؤاً**، تَقدَّمْ! لَن تَتخلَّصَ مِن حِملِكَ قبلَ أَن توصِلَهُ إلى بَيتي.

أَطاعَها الشّابُّ ومَشى مُستَعيذاً باللهِ مِن شرِّها. وما زالَ جادّاً يَلهَثُ ويَئِنُّ، والمرأةُ في أَثَرِهِ، حَتّى بَلَغا

جِدُّ خفيفٍ: خفيفٌ جدّاً.
حالَ دونَ الأمرِ: وَقفَ مانعاً حصولَهُ.
التَّلكُّؤُ: الإبطاءُ والتَّوقُّفُ.

مَسالكَ الجبلِ فشرَعا في التَّسلُّقِ. وفي الحالِ شَعرَ الشّابُّ بأَنَّ قِواهُ **تخورُ**، فَنَدّى العَرَقُ جبينَهُ. استدارَ نحوَ العَجوزِ وقالَ مُتَوَسِّلاً:

ـ لقَدْ بَلغَ مِنّي الإعياءُ أَشَدَّهُ. دَعيني أَجلِسْ وأَسترِحْ قليلاً.

أجابَتْ بحَزمٍ:

ـ كَلّا، لَن تَستريحَ قبلَ بُلوغِنا المَنزلَ، ولِذا يَجبُ أَن نَجِدَّ في السَّيرِ. واعلَمْ أَنَّ تَعبَكَ لَن **يَذهبَ سُدىً**.

أَجابَ الأَميرُ الشّابُّ وهُو **يَستشيطُ** غَيظاً:

ـ يا لَلعَجوزِ الوَقِحةِ! دَعيني وشَأني!

ثُمَّ عادَ يُحاوِلُ الخَلاصَ مِن حِملِهِ المُرهِقِ، ولَكنَّ الكيسَ مُحكَمُ الوِثاقِ، فعَبَثاً حاوَلَ. ودارَ حَولَ نفسِهِ تَكراراً يُعالجُ هَذا الحِملَ اللَّعينَ، ولَكنْ مِن غيرِ فائدةٍ.

قَهقَهَتِ العَجوزُ ساخرةً، وطافَتْ حَولَ الشّابِّ

تخورُ: تضعُفُ وترتخي.
يَذهبُ سُدىً: يَذهبُ باطِلاً، بلا نَفعٍ.
يَستشيطُ: يلتهِبُ

تَرقصُ وتَقولُ:

ـ صبراً يا سيِّدي! رِفقاً بحالِكَ، لقَدِ **امتُقِعَ وجهُكَ** لشِدّةِ الغَضبِ! **تَجلَّدْ**، ولسَوفَ أُجازيكَ خَيراً لَدى وُصولِنا إلى البيتِ.

أذعنَ الشّابُّ لِواقِعِهِ وقَدْ أَعْيَتْهُ الحيلةُ، فسارَ في أعقابِ العَجوزِ لاهثاً واهياً. كانَتْ، كُلَّما قَطَعَتْ شَطراً مِنَ الطّريقِ، تَحُثُّ خُطاها، كأنّما النَّشاطُ قَد بُعثَ فيها مُجدَّداً؛ أمّا هو فكانَ يَشعرُ بأعضائِهِ تَتَصلَّبُ شيئاً بعدَ شيءٍ. وفجأةً استدارَتِ العَجوزُ نَحوَهُ،وعلى حينِ **غِرّةٍ** قَفزَتْ عَنِ الأرضِ عالياً واستَقرّتْ فوقَ الكيسِ على ظَهرِ الشّابِّ المِسكينِ! خُيِّلَ للشّابِّ أنَّ العَجوزَ تَفوقُ الجبالَ وزناً على رُغمِ نُحولِها وهُزالِها، **فاصطكَّتْ رُكْبتاهُ** وأَوشكَ أَن يَنهارَ؛ غيرَ أَنَّ السّاحرةَ راحَتْ

امتُقِعَ الوَجهُ: تغيّرَ لونُهُ بسببِ حُزنٍ أو غضبٍ أو خوفٍ أو ريبةٍ.

تجلَّدْ: تَصبَّرْ.

أذعنَ: خضعَ وانقادَ.

الغِرّةُ: الغفْلةُ.

اصطكَّتِ الرُّكبتانِ: اضطربَتا وضَربتْ إحداهُما الأُخرى عندَ المَشيِ.

تُلهِبُ ساقَيهِ بقضيبٍ أَخضرَ، لا تَتركُ له فُرصةً للتَّوقُّفِ واستعادةِ أنفاسِهِ. ولَمْ يَدرِ المِسكينُ كيفَ تَمكَّنَ مِن صعودِ الجبلِ، فحينَ وَصلَ والعَجوزَ إلى البيتِ كانَ الإعياءُ قَد أَخذَ منهُ كلَّ مَأخذٍ. ولَمّا شاهدَتِ الإوَزّاتُ سيِّدةَ الدّار سارعَتْ إلَيها باسطةً أَجنحتَها في **جَلَبةٍ** وصُياحٍ. ورأى الشّابُّ وراءَ الطّيورِ مخلوقةً رهيبةً، **فارعةَ** الطّولِ، ذاتَ وجهٍ مُخيفٍ في قُبحِهِ، ما لَبِثَتْ أنْ تَقدَّمَتْ مِنَ العَجوزِ وقالَتْ لها:

ـ ماذا جَرى يا أُمّاهُ؟ لقَدْ طالَ غيابُكِ اليومَ.

أجابَتِ العَجوزُ بخُبثٍ:

ـ كُنتُ تَعِبةً يا عَزيزتي، فلَقيتُ هَذا الشّابَّ الطَّيِّبَ الكريمَ فأَبى إلّا أَن يُساعدَني على حَملِ مَؤونتي. وبَلغَتْ مِنهُ **الشّهامةُ** أَن حَملَني على ظَهرِهِ حينَ أَحسَّ بتَعَبي وعَجزي. وهُو إلى هَذا لَم يَكُفَّ عَن مُلاطَفتي

الجلَبةُ: الصّجيجُ واختلاطُ الأَصواتِ.

الفارعُ: المُرتفعُ

الشّهامةُ: عِزّةُ النّفسِ وتَرفُّعُها عَنِ الأمورِ الخسيسةِ.

طَوالَ الطّريقِ.

نَزَلَتِ المرأةُ عَن ظَهرِ الشّابِّ وأَنزلَتْ كيسَها، ثُمَّ أَخذَتِ السّلَّتَينِ من يدَيهِ وقالَتْ له:

ـ اذهَبِ الآنَ واستَرِحْ هُناكَ أمامَ البابِ. لقَدْ كَسَبْتَ مكافأتَكَ بعَرقِ جبينِكَ.

ثُمَّ التفتَتْ إلى الفتاةِ وقالَتْ لها:

ـ تَعالَي يا بُنيّتي، لا تَبقَي واقفةً أمامَ هَذا الشّابِّ الوسيمِ، فقَدْ يَهيمُ بكِ حُبّاً.

حارَ الشّابُّ في أَمرِهِ: أَيَبكي أَم يَضحكُ مِمّا سَمعَتْهُ أُذناهُ؟ وعادَ فأَمعنَ النَّظَرَ في الفتاةِ، ثُمَّ خاطبَ نفسَهُ قائلاً:

ـ واللهِ إنَّ حماراً لا يَقعُ في حُبِّ فتاةٍ كهَذهِ!

انصَرفَتِ العَجوزُ بعضَ الوقتِ تُداعبُ إِوَزّاتِها، ثُمَّ دَخلَتِ المنزلَ معَ المخلوقةِ الذّميمةِ. واستَلقى الشّابُّ على مَقعدٍ خَشبيٍّ تُظلّلُه شجَرةٌ مُنفرِجةُ الأَغصانِ. وأَلقى مِن حولِهِ نِظرةً شاردةً فرَأى مَرجاً أَخضرَ يُزَنِّرُ

أَمعَنَ النّظرَ في الأَمرِ: بالغَ وأبعَدَ في البحثِ عَنهُ.

المنزلَ، مُوشَّحاً بالصَّعترِ والرّياحينِ، وفي قَلبِهِ جَدْولٌ هامسٌ يَنساب رَقراقاً صافياً. وكانَتِ الإوَزّاتُ تَختالُ على ضَفّةِ الجَدْولِ، أو تَغطِسُ في الماءِ سابحةً لاهيةً. إنَّها لَبُقعةٌ ساحرةٌ خَلّابةٌ! وما لَبثَ النُّعاسُ أَنْ **أَسدَلَ** جَفنَيهِ، فراحَ يَغِطُّ في سُباتٍ عميقٍ.

لَم يَطُلْ عَهدُه بالرّاحةِ، لأنَّ العَجوزَ أَيقَظَتْهُ قائلةً:

ـ انهَضْ، عليكَ أنْ تَنصرِفَ حالاً. واعذُرْني إذا أَسأْتُ مُعامَلتَكَ. ولَكنْ لا بأسَ عليكَ، فأنتَ قَد تَكبَّدْتَ المَشقَّةَ بجَلَدٍ وطولِ **أَناةٍ**. وهاكَ المكافأةَ الّتي وَعَدْتُكَ بها: خُذ هَذهِ العُلبةَ، فهِي تَحمِلُ إليكَ الحظَّ والسّعادةَ.

قالَتْ هَذا ووَضعَتْ في يدِهِ زُمُرُّدةً كبيرةً جُوِّفَ قَلبُها وسُدَّتْ بغِطاءٍ، فنَهضَ الشّابُّ وشَكرَ المرأةَ، ثُمَّ ودَّعَها وانصَرفَ، وقَدْ نَسيَ تعبَهُ وعادَ النّشاطُ يَدِبُّ في عُروقِهِ ودمِهِ.

أَسدَلَ: أَرخى.

الأَناةُ: الانتظارُ والصّبرُ والتّمهُّلُ.

بَقِيَ الأَميرُ هائماً على وَجهِهِ ثلاثةَ أيّامٍ، ضالّاً طريقَهُ في تِلكَ **الأَصقاعِ** النّائيةِ الموحِشةِ. وفي اليومِ الثّالثِ دَخلَ إلى مدينةٍ كبيرةٍ، فسألَ أحدَ سُكّانِها أن يُرشدَهُ إلى قصرِ المَلكِ، فَفَعلَ. وفي القصرِ التمسَ الأَميرُ مقابلةَ المَلكِ، فأُدخلَ قاعةَ العَرشِ، وكانَ العاهلُ مُتربِّعاً في صَدرِها والمَلِكةُ إلى جانبِهِ. فتَقدّمَ الشّابُّ وجَثا أمامَهُما، ثُمّ أخذَ العُلبةَ الثّمينةَ مِن جَيبِهِ ورَفعَها نحوَ المَلِكةِ. أَشارَتْ إلَيهِ المَلِكةُ أن يَنهضَ، فتَقدّمَ مِنها وطَلبَ إلَيْها أن تَقبلَ هَديّتَهُ. ولَمْ تَكَدْ تَفتحُ غطاءَ الزُّمُرُّدةِ حتّى وَقعَتْ مَغشِيّاً عليها! فما كانَ مِنَ الحُرّاسِ إلّا أن قَبَضوا على الأميرِ الشّابِّ وساقوهُ إلى السِّجنِ. ولَكنَّ المَلِكةَ ما لَبِثَتْ أن عادَتْ إلى وَعيِها، فطَلَبَتْ أن يُطلَقَ سراحُ السَّجينِ وأَن يُحضَرَ إلَيها؛ ثُمّ أمرَتِ الجميعَ بالِانصرافِ، وبَقيَ الشّابُّ أمامَها والدَّهشةُ مُرتسِمةٌ على وَجهِهِ، لا يَفقَهُ شيئاً مِمّا حَدثَ. وزادَتْ دَهشتُه

الأَصقاعُ: النّواحي، مفردُها الصُّقْعُ.

حينَ راحَتِ المَلِكةُ تَذرِفُ الدَّمعَ وتَقولُ مُنتَحِبةً:

ـ ما قيمةُ المُلكِ والجاهِ؟ إنَّني أَستيقظُ صباحَ كلِّ يومٍ واللّوعةُ تتأجَّجُ في صَدري. لقَدْ رَزَقَني اللهُ ثلاثَ بناتٍ كانَتْ صُغراهُنَّ آيةً في الحُسنِ والكمالِ، يَنظرُ إِلَيها النّاسُ **فتَفتِنُ ألبابَهُم**. وكانَتْ، إذا بَكَتْ، تَذرِفُ عَيناها اللُّؤلؤَ الغالي بديلاً مِنَ العَبَراتِ. وذاتَ يومٍ دَعا المَلكُ بناتِهِ الثَّلاثَ فحَضَرْنَ، وكانَتْ إطلالةُ الصُّغرى صباحاً مُشرِقاً أنارَ القاعةَ بَهاءً وضِياءً. قالَ المَلكُ لبَناتِهِ:

ـ لقَدْ **طَعَنْتُ في السِّنّ**، ولَسْتُ أدري مَتى يَحينُ أَجَلي. وأنا أُريدُ مُنذُ الآنَ أَن أوصِيَ لكلِّ واحدةٍ مِنكُنَّ بنَصيبِها مِنَ المُلكِ. إنّني أَعرِفُ مِقدارَ حُبِّكُنَّ لي، وسَوفَ تَكونُ حصّةُ كلٍّ مِنكُنَّ بمِقدارِ تَعبيرِها عَن حُبِّها وإجلالِها لأَبيها.

قالَتِ الكُبرى:

الآيةُ: العلامةُ الفارقةُ.

تفتِنُ: تُعجِبُ وتستهوي وتستميلُ.

الألبابُ: العقولُ والقلوبُ.

طَعَنَ في السِّنّ: شاخَ.

ـ إنّني أُحبُّ والدي أكثرَ مِنَ السُّكّرِ اللّذيذِ المُذابِ!

وقالَتِ الوُسطى:

ـ أُحبُّ والدي أكثرَ مِمّا أُحبُّ أبهى المَلابسِ وأثمنَ الحِلى!

وأمّا الصُّغرى فلَمْ تَقُلْ شيئاً. فطَلبَ المَلكُ إليها أن تَتكلَّمَ بدَورِها، فقالَتْ:

ـ أنا لا أستطيعُ أن أصِفَ عظيمَ حُبّي لأبي، وأُقابلَهُ بما أشتهيهِ مِن مَتاعِ الدُّنيا الفانيةِ.

بَيْدَ أنَّ المَلكَ ألحَّ في سؤالِهِ، عندَئذٍ قالَتِ الصُّغرى:

ـ إنَّ أشهى المآكِلِ لا طَعمَ له إذا خَلا مِنَ الملحِ. فأنا أُحبُّ والدي أكثرَ مِمّا أُحبُّ الملحَ!

غَضبَ الملكُ وامتُقِعَ وَجهُه، فقالَ مُزمجِراً:

ـ كالملحِ تُحبّينني، وبالملحِ سأُكافئُكِ...

المتاعُ: كلُّ ما يُنتفَعُ به مِن أشياءَ باستثناءِ الفِضّةِ والذّهبِ والمالِ.

أَوصى المَلكُ بمَملكتِهِ لابنَتَيهِ الكُبرى والوُسطى مُناصَفةً، وأَمَرَ اثنَينِ من خَدَمِهِ أَن يَضَعا على ظهرِ الصُّغرى كيساً مِنَ الملحِ، وأن يقتاداها إلى الغابةِ ويَترُكاها هُناكَ فَريسةً للوُحوشِ.

كانَ الأَميرُ الشّابُّ يُصغي باهتمامٍ لروايةِ المَلِكةِ الحزينةِ الّتي **أَردفَتْ** قائلةً:

ـ وعَبَثاً حاولْتُ رَدَّ المَلكِ عَن **غَيِّهِ**، فانصَرفَتِ الصّغيرةُ المِسكينةُ وهِيَ تَبكي، واللُّؤلؤُ الصّافي يَتساقطُ مِن عَينَيها مِدْراراً. وبعدَ أيّامٍ عادَ المَلكُ إلى صوابِهِ، فنَدِمَ على قَسْوتِهِ، وأَمرَ جنودَهُ بالذَّهابِ إلى الغابةِ سَعياً وراءَ ابنَتِهِ **الطَّريدِ**، فضَربوا كلَّ شِبرٍ مِن أرجائِها مِن غيرِ جَدوى. وتَعاقَبَتِ الأَيّامُ، وأنا أُمَنّي النَّفسَ بأَن تَكونَ ابنَتُنا المِسكينةُ قَد لَجأَتْ إلى إحدى المَغاوِرِ فعاشَتْ فيها، أَو يَكونَ بعضُ المُحسِنينَ قَد آواها فبَقيَتْ على

أردفَتْ: أتبعَتْ كلامَها، أَضافَتْ.

الغَيُّ: الضَّلالُ.

الطَّريدُ: المطرودةُ، الهاربةُ.

قَيدِ الحياةِ. ولَكنْ، واحَسْرتاهُ! أنا أَخشى أَن تَكونَ الوحوشُ قَدِ افتَرسَتْها، وهَذا ما **يُقِضُّ مَضجَعي** وَيزيدُني حُزناً وشقاءً. إلى أَن كانَ مجيئُكَ إلى القصرِ وقدَّمْتَ لي العُبةَ، فماذا وَجَدتُ في داخِلِها؟ لؤلؤةً مِن لآلئِ دمعِ صغيرتِنا! فاضطَرَبْتُ أَيَّما اضطرابٍ، وفَقَدْتُ وَعْيي. قُل لي، برَبِّكَ، كيفَ حَصلْتَ على هَذهِ اللُّؤلُؤةِ؟

رَوى الأَميرُ قصّةَ مُغامرَتِهِ في الغابةِ، وكيفَ أَنَّهُ لَقيَ السّاحرةَ الّتي أَعطَتْهُ العُلبةَ. فسارعَتِ المَلِكةُ تُخبرُ زَوجَها بالأَمرِ. وسُرعانَ ما تأهَّبَ المَليكانِ للذَّهابِ إلى بيتِ السّاحرةِ، فخَرَجا مِنَ القصرِ معَ الأَميرِ، وقَلباهُما الكئيبانِ يَنبِضانِ بالأَملِ والرّجاءِ.

في ذَلكَ الوقتِ بالذّاتِ كانَتِ السّاحرةُ جالسةً أمامَ بابِ بيتِها تَغزِلُ الصّوفَ. وعادَتِ ابنَتُها تَسوقُ أَمامَها الإِوَزّاتِ، فأَخذَتْ مِغزَلَها وجَلسَتْ بالقُربِ مِن أمِّها.

يُقِضُّ: يُخشِّنُ ويُعطِّلُ.

المضجعُ: المَرقدُ، مكانُ النّومِ. ويُقِضُّ مضجعي كنايةٌ عن الانزعاجِ والقلقِ خلالَ اللّيلِ.

وبَقِيَتا على تِلكَ الحالِ ساعتَينِ، إلى أَن أَقبلَ اللّيلُ، فقالَتِ العَجوزُ للفتاةِ:

ـ قومي يا بُنَيَّتي، لقَدْ آنَ لكِ أن تَذهبي إلى حَيثُ تَعلمينَ!

نَهضَتِ الفتاةُ وانصَرفَتْ **مُتوغّلةً** بينَ البساتينِ حَتّى أَتَتْ وادياً بعيداً. وبَقيَتْ جادّةً في سبيلِها إلى أَن بَلغَتْ يَنبوعَ ماءٍ تُظلِّلُه سِندِياناتٌ **وارفةٌ**، وكانَ القمرُ معلَّقاً فوقَ **هامةِ** الجبلِ ساطِعاً مُنيراً؛ فتَقدَّمَتِ الفتاةُ مِنَ الماءِ، وخَلعَتْ قِناعاً كانَ يُغطّي وَجهَها، وراحَتْ تَغتسِلُ. وبَعدَما فَرَغَتْ مِنَ الاغتسالِ نظَّفَتِ القِناعَ ومَدَّتْهُ فوقَ العُشبِ ليَجِفَّ. ثُمَّ فَكَّتْ شريطاً كانَ يَجمعُ شَعرَها، فتَراخَتْ خُيوطُه الذَّهبيَّةُ فوقَ كتِفَيها كالحريرِ. يا لَروعةِ المَنظرِ! لقَدْ ظَهرَتِ الفتاةُ، بَعدَما خَلعَتِ القِناعَ عَن وَجهِها، آيةَ حُسنٍ وجَمالٍ: عَيناها كالكواكبِ

متوغّلةً: داخلةً وذاهبةً بعيداً.

وارفةٌ: نَضِرةٌ وشديدةُ الخُضرةِ ومُمتدّةُ الظِّلالِ.

الهامةُ: الرّأسُ.

اتِّقاداً، وعلى وَجْنَتَيها نَضْرةُ النَّدى واحمرارُ الورودِ!

كانَتِ الفتاةُ حزينةً **واجمةً**. فجَلسَتْ على العُشبِ تَبكي، واللُّؤلؤُ يَنهمِرُ مِن عَينَيها ويَتدحرَجُ على قَدمَيها. وظَلَّتْ هَكذا فترةً طويلةً، إلى أَن فوجِئتْ بتَكسُّرِ بعضِ الغُصونِ في مكانٍ قريبٍ، فهَبّتْ مذعورةً، وعادَتْ إلى قِناعِها تَضعُه على وَجهِها، ثُمّ فارقَتِ المكانَ وهِي تَعدو كالرّيحِ. ووَصلَتِ الفتاةُ إلى بيتِ السّاحرةِ **مُرتعِدةً** لاهثةً. وكانَتِ العَجوزُ واقفةً في البابِ، فهَدّأَتْ مِن رَوعِها، وأَدخلَتْها الغُرفةَ حَيثُ أَوقدَتْ ناراً لتَدفئتِها. وهمَّتِ الفتاةُ بأَن تَرويَ ما حَدثَ لها، فابتسمَتِ العَجوزُ وقالَتْ:

ـ أنا أَعرفُ هَذا كلَّهُ...

ثُمّ قامَتْ **تَوّاً** إلى مِكنَسةٍ تُنظِّفُ الغُرفةَ وتُزيلُ الغُبارَ، وهِي تَقولُ:

واجمةً: عابسةً ومُطرقةً من شدّةِ الحُزنِ.

مُرتعدةً: مُضطربةً ومُرتجفةً مِن الخوفِ.

تَوّاً: حالاً وبلا تأخُّرٍ.

ـ عليّ أَنْ أُنظّفَ البيتَ مِن غيرِ تأخيرٍ.

قالَتِ الفتاةُ مُستغرِبةً:

ـ أَما تَعتقدينَ بأَنَّ الوقتَ متأَخِّرٌ لترتيبِ المنزلِ يا أُمّاهُ؟ ما الحاجةُ إلى التّنظيفِ في مِثلِ هَذهِ السّاعةِ مِنَ اللّيلِ؟

ـ أَلا تَذكُرينَ يا بُنَيّتي أَنَّكِ جِئتِ إلى هَذا البيتِ في مِثلِ هَذا اليومِ مُنذُ ثَلاثِ سنَواتٍ؟ لَقَدْ آنَ الوقتُ لأَن نَفترِقَ.

خافَتِ الفتاةُ وقالَتْ مُرتعِدةً:

ـ أَتطرُدينَني أَيّتُها الأمُّ الطّيّبةُ؟ أينَ أَلجأُ ولا صديقَ لي ولا وَطَنَ؟ أَلَمْ أُطِعْكِ وأَعمَلْ بِحَسَبِ مشيئتِكِ طَوالَ هَذهِ المُدّةِ؟ باللهِ عليكِ، حرامٌ ما تَفعلينَ!

لَم تَشأْ العَجوزُ أَن تُخبِرَ الفتاةَ بما سيَحِلُّ بها، واكتَفَتْ بقَولِها:

ـ لَن يُكتَبَ لنا أَن نَبقى معاً بعدَ اليومِ. فلا تَقلقي لمَصيرِكِ يا بُنَيّتي، لأَنّكِ ستَجِدينَ السّعادةَ والهناءَ. اذهَبي الآنَ إلى غُرفتِكِ، واخلَعي القِناعَ عَن وَجهِكِ،

ثُمَّ البَسي فُستانَ الحريرِ الجميلَ الّذي كُنتِ تَرتدينَهُ يومَ وُصولِكِ إلى هَذا المكانِ، وابقَي في غُرفتِكِ حَتّى أُناديَكِ.

وَلْنَعُدِ الآنَ إلى المَلكِ والمَلِكةِ اللّذَينِ خَرجا معَ الأَميرِ في طَلبِ العَجوزِ. فخِلالَ اللّيلِ كانَ الشّابُّ قَدِ انفَصلَ عَنِ المَليكَينِ للبَحثِ مُنفرِداً في اتّجاهٍ مُغايرٍ مِنَ الغابةِ. وفي اليومِ التّالي خُيِّلَ له أَنَّهُ وَجدَ الطّريقَ الّذي سَلكَهُ أوَّلَ مرّةٍ نحوَ بيتِ السّاحرةِ. وكانَ اللّيلُ يُرخي **سُدولَهُ**، فتَسلَّقَ شجرةً كبيرةً لينامَ في **حَناياها**.

وراحَ الشّابُّ يُمتِّعُ نَظرَهُ بجَمالِ تلكَ البِقاعِ الخضراءِ الّتي غَمرَها البَدرُ بشُعاعِهِ الذَّهبيِّ. ولَم يَمضِ على تأمُّلِهِ زمانٌ طويلٌ حَتّى رَأى امرأةً تَنحدِرُ مِنَ الجَبلِ في اتِّجاهِ الوادي، فأَيقنَ أَنَّها إحدى المرأتَينِ لا مَحالةَ: السّاحرةُ، أَوِ الفتاةُ الدّميمةُ؛ فباتَ يَترقَّبُها بصَمتٍ، إلى

السُّدولُ: مفردُها السّدلُ وهُوَ السّترُ أوِ السّتارةُ.

الحَنايا: مفردُها الحنيّةُ وهيَ القوسُ أو ما كانَ محنيّاً كالقوسِ، والمقصودُ هُنا الأَغصانُ.

أَنِ اقترَبَتْ مِنَ اليَنبوعِ وخَلعَتْ قِناعَها للِاغتسالِ. وكَم كانَتْ دَهشتُه عظيمةً عندَما شاهدَ فتاةً في **رَيْعانِ** الصِّبا، فارعةَ القَوامِ، فائقةَ الجَمالِ، فحَبَسَ أَنفاسَهُ، وبدَّلَ جِلستَهُ ليُمعِنَ النَّظرَ في الفتاةِ الرّائعةِ! ولَكنَّهُ، في حَراكِهِ، كسَرَ غُصناً مِنَ الأَغصانِ المُحيطةِ به، فأَثارَ فزَعَ الفتاةِ الّتي وَلَّتْ هاربةً بعدَما أَعادَتِ القِناعَ إلى وَجهِها، كما رأَيْنا.

أَدركَ الأَميرُ واقعَ الحالِ بعدَ ذُهولِهِ العابرِ. ولَمْ يَمكُثْ طويلاً في مَكانِهِ، بَل نزَلَ وانطَلَقَ في أَثَرِ الفتاةِ. وما هي إلّا دقائقُ قليلةٌ حَتّى رَأى شخصَينِ قادمَينِ نَحوَهُ، فإذا بِهِما المَلكُ والمَلكةُ اللّذانِ كانا متَّجهَينِ إلى بيتِ السّاحرةِ بعدَما شاهدا نوراً يَنبعِثُ مِن إحدى نَوافِذِهِ. ووصَفَ الأَميرُ لهُما رَوعةَ المنظرِ الّذي شاهَدَهُ، فشعَرَ الوالدانِ بأَنَّ تِلكَ الفتاةَ لَم تَكُنْ غيرَ ابنَتِهِما الصّغيرةِ التّائهةِ. وتابعَ الثّلاثةُ مسيرَهُم مُغتبِطينَ، وسُرعانَ ما وصَلوا إلى بيتِ المرأةِ العَجوزِ. كانَتِ الإوَزّاتُ نائمةً

الرَّيعانُ مِن كلِّ شيءٍ: أَوَّلُه وأَفضَلُه.



ورؤوسُها بينَ أَجنحتِها. اقتَربَ الثّلاثةُ مِنَ النّافذةِ فرأَوْا العَجوزَ جالسةً في الغُرفةِ والمِغزَلُ في يدِها. ولَكنَّهُم لَم يَرَوْا للفتاةِ أثَراً. مَدَّ الأَميرُ الشّابُّ يدَهُ، ودقَّ برِفقٍ على حافَةِ النّافذةِ. وكأنّي بالعَجوزِ كانَتْ تَنتظرُ قُدومَهُم، فنَهضَتْ وقالَتْ لهُم بصوتٍ هادئٍ:

ـ ادخلوا، أنا أَعرفُكم...

دخَلَ الثّلاثةُ إلى الغُرفةِ. ونَظَرَتِ العَجوزُ إلى المَلكِ والمَلِكةِ وقالَتْ:

ـ لقَدْ عِشتُما في جحيمِ النَّدمِ والشَّقاءِ ثَلاثَ سنواتٍ. ولَو أنَّ جلالَةَ المَلكِ تَروّى في حُكمِهِ ورأَفَ بابنَتِهِ لَما حَدَثَ ذَلكَ. وأَمّا الفتاةُ فقَدْ عاشَتْ هَهُنا حياةً آمنةً، بعيدةً عَن شُرورِ الدُّنيا ومَكائِدِها، لا يَقُضُّها غيرُ عَطفِ أَبَوَيْها.

ثُمَّ قصَدَتْ إلى البابِ ففتَحَتْهُ، وقالَتْ تُخاطبُ الفتاةَ:

ـ اخرُجي يا عَزيزَتي، ففي المنزلِ ضيوفٌ يَطلبونَكِ.

الحافَةُ: الجانبُ والطَّرَفُ.

خرَجَتِ ابنَةُ المَلكِ تَرتدي ثوبَ الحريرِ، وشَعرُها الذّهبيُّ يَتموَّجُ فوقَ ظَهرِها، وعَيناها تُطلِقانِ السِّهامَ كَيفَما نَظَرَتْ. وهبَّتْ نحوَ أمِّها وأَبيها تَشُدُّهُما إلى صَدرِها وتُشبِعُهما **لَثْماً** وضَمّاً، فبَكى جميعُ مَن في الغُرفةِ إزاءَ هَذا المَشهدِ المؤثِّرِ. ونَظَرَتِ الفتاةُ إلى الأَميرِ الشّابِّ فابتَسمَ لها، فاحمَرَّتْ وَجْنتاها، وفي الحالِ دارَ بينَ قَلبَيهِما حديثٌ صامتٌ طويلٌ!

قالَ المَلكُ لِابنَتِهِ:

ـ يا حَبيبتي، لقَدْ أَوصَيْتُ بمَملَكتي لشَقيقتَيكِ، فماذا أُعطيكِ لتّكفيرِ عَمّا جَنَيتُه؟

قالَتِ العَجوزُ:

ـ لا حاجةَ لِابنَتِكَ الصُّغرى بالمُلكِ والمالِ، فقَدِ ادّخَرْتُ لها اللآلئَ الّتي ذَرَفَتْها عَيناها مِن أَجلِكُما، وهِيَ تَفوقُ لآلئَ البَحرِ قيمةً وجَمالاً؛ فحَبّاتٌ مِنها معدوداتٌ **تُضاهي** بثَمَنِها ثَمَنَ مَمالكَ عديدةٍ! ثُمَّ إنّني

لثماً: تقبيلاً.

تُضاهي: تُساوي وتُشاكِلُ وتُشابِهُ.

وَهَبْتُها بَيتي هَذا مُكافأةً لها لتُقيمَ به على هَواها.

ما إن فَرَغَتِ العَجوزُ مِن كلامِها حَتّى اختَفَتْ مِنَ الغُرفةِ كأنَّها **سَرابٌ** يتبخَّرُ. وسَمِعَ الأَربعةُ جُدرانَ البيتِ الصّغيرِ تَهتزُّ، فإذا البيتُ الوَضيعُ قَد غَدا قصراً رائعاً. ونَظَروا مِن حَولِهِم فإذا في صَدرِ المَكانِ **مَقصفٌ** عامرٌ بما لَذَّ وطابَ، والخَدَمُ مِن حَولِهِ يَستعدّونَ لتَقديمِ الطّعامِ.

أَكَلَ الأَربعةُ وشَربوا. وكانَ المَلِكُ يَمزُجُ المِلحَ بطَعامِهِ مُتلذِّذاً، فيَنظُرُ إلى ابنَتِهِ مِن حينٍ إلى آخَرَ **وعَيناهُ مُغرورِقتانِ**.

بعدَ الطّعامِ خَرَجَ الجميعُ إلى باحةِ القصرِ، ففوجِئوا بالإوَزّاتِ وقَدْ تَحوَّلَتْ إلى فَتياتٍ حِسانٍ. فَطَلَبْنَ جميعُهنَّ البقاءَ في القصرِ الجديدِ ليَكُنَّ وَصيفاتٍ للأميرةِ، وهَكذا كانَ.

السَّرابُ: ما يُشاهَدُ عِندَ اشتدادِ الحرِّ وكأنَّهُ ماءٌ.
المَقصَفُ: محلُّ الأكلِ والشُّربِ.
اغرَورقَتِ العَينانِ: دَمَعَتا وكأنَّهُما غَرِقَتا في دُموعِهِما.

مَكَثَتِ الأَميرةُ فترةً مِنَ الزّمنِ معَ والدَيها في قصرِها الجديدِ. وعادَ الأميرُ الشّابُّ بعدَ مُدَّةٍ فطَلَبَ يدَها، وكانَ الحُبُّ قَد جمَعَ بينَ قَلبَيْهِما، فتزوَّجا وعاشا في قصرِ السّاحرةِ حياةَ **رَغَدٍ** وهَناءٍ.

هَذا، ولَمْ تَعُدِ العَجوزُ إلى الظُّهورِ بعدَ ذَلكَ اليومِ. كانَتْ مِنَ السّاحراتِ الطَّيِّباتِ اللّواتي لا يُرِدْنَ بالنّاسِ إلّا خَيراً، وهِيَ الّتي تعَهَّدَتِ الأَميرةَ الصّغيرةَ بعِنايتِها مُنذُ وِلادتِها، وجعَلَتْها قادرةً على ذَرفِ اللآلئِ بدلاً مِنَ الدّموعِ...

الرَّغَدُ: طيبُ العَيشِ واتّساعُه.

قصة

مِنْ قَلبِي!

١

فتَحَتْ هُدى نافذةَ الغُرفةِ على مِصراعَيها وأَلْقَتْ إلى الشّارعِ نِظرةً **ساهمةً**. كانَ المارَّةُ يَقطعونَ الأرصِفةَ بخُطىً عريضةٍ ثابتةٍ، وكأنَّ الشّمسَ الّتي أطلَّتْ في صبيحةِ ذَلكَ اليومِ مِن شهرِ كانونَ الأوَّلِ، إطلالةً فاترةً حَيِيَّةً، قَد بَعثَتْ في أجسادِهِم دِفئاً ونشاطاً لذيذَينِ...

نظَرَتْ إلَيهِم يَسيرونَ هَكذا في اتِّجاهاتٍ مُختلفةٍ، **زَرافاتٍ ووُحداناً**، وُجوهُهم تَطفَحُ **بِشْراً**، تَفتَرُّ شِفاهُهم

الساهمةُ: الضَّعيفةُ الفاترةُ الذّابلةُ.

الزّرافاتُ: مفردُها الزّرافةُ وهي الجماعةُ الّتي تضُمُّ ما بين العشَرةِ والعشرين.

وُحداناً: منفردين، واحداً واحداً.

البِشرُ: البشاشةُ.

عَنِ ابتساماتِ الرِّضى، في عيونِهِم بَريقُ السّعادةِ، وجباهُهم مُشرِقةٌ مُنوَّرةٌ.

إنَّها صَبيحةُ اليومِ الّذي يَسبِقُ يومَ العيدِ! ومَن مِنَ النّاسِ لا يَفرحُ في **ضَحاةِ** هَذا اليومِ البَهيجِ؟ حَتّى الشّارعُ، هَذهِ الكُتلةُ الصَّمّاءُ مِنَ الحجارةِ المُتراصّةِ، قَد لَبِسَ أبهى حُلّةٍ وأَجملَ وِشاحٍ: جَنَباتُه مَرجٌ أَخضرُ نَضيرٌ تَتعانقُ في أَحضانِهِ أَحواضُ الزَّهرِ وشُجَيراتُ العيدِ وسُعوفُ النّخيلِ، **وتَصطَفِقُ** فوقَ شُرُفاتِهِ وعلى مَداخلِ أَبنيَتِهِ أعلامٌ وراياتٌ. واجهاتُ مَحالِّهِ تُشعُّ بِألفِ لَونٍ ونورٍ، وقَدْ **أَسرفَ** أَصحابُها في تزيينِها بالمَصابيحِ الكهرَبائيّةِ الجميلةِ، وبِما حَوَتْ خَزائنُهُم مِن أَجْودِ البضائعِ والهدايا وأَثْمَنِها.

هَذه الواجهاتُ قَد بَهَرَتْ بَصَرَ هُدى كما بَهَرَتْ عيونَ النّاسِ جميعاً. ومُنذُ ذَلكَ الحينِ لَم تَنقطِعْ قَطُّ

الضّحاةُ أو الضّحوةُ: ارتفاعُ النّهارِ بعدَ طلوعِ الشّمسِ.

تصطفِقُ: تهتزُّ وتتلاطمُ.

أسرفَ: بالغَ وجاوزَ الحدَّ.

عَنِ التّفكيرِ في ما شاهَدَتْهُ فيها مِنَ السِّلَعِ الجميلةِ. وقَدْ كانَ لِانشغالِها الدّائمِ بهذا الأمرِ سببٌ شخصيٌّ بالغُ الأَهمّيّةِ: فقَدْ عَقَدَتِ النِّيّةَ على أن تُقدّمَ لزَوجِها نَبيلٍ في يومِ العيدِ هديّةً جميلةً تُسعِدُه وتُعبّرُ عَن حُبِّها العظيمِ له.

عادَتْ هُدى عَنِ النّافذةِ إلى غُرفتِها، ففتَحَتْ خِزانتَها، وتَناولَتْ مِن على أَحدِ رُفوفِها عُلبةً خشَبيّةً صغيرةً حمَلَتْها بِرفقٍ وهِيَ تَضمُّها إلى صَدرِها ضَمَّ الأمِّ رضيعَها. جلَسَتْ على السّريرِ وفتَحَتِ العُلبةَ الصّغيرةَ، فتَراقصَتْ أمامَها أوراقٌ نَقديّةٌ مِنَ الفئةِ الصّغيرةِ، معَ بعضِ الدّراهمِ المَعدِنيّةِ؛ فأَفرَغَتْها، وعادَتْ إلى عَدِّها للمرّةِ العاشرةِ أَوِ العِشرينَ، وعادَ بريقُ الأَمَلِ يُشرِقُ في عَينَيها، كأنَّها كانَتْ تَتوقَّعُ أَن تَرى المالَ يَتكاثرُ بسِحرٍ ساحرٍ كُلَّما عمَدَتْ إلى تَقليبِه بينَ يدَيها. ولَكنْ ما إنْ فرَغَتْ مِن حساباتِها حَتّى شعَرَتْ بالواقعِ المَريرِ يَحولُ بينَها وبينَ أُمنيّتِها وأحلامِها؛ فالمالُ الّذي كانَ

يَحولُ بينَهما: يَقِفُ حاجزاً ومانعاً.

فِي العُلبةِ هو هو، لا زيادةَ ولا نُقصانَ: عَشْرُ ليراتٍ وثمانونَ قِرشاً **سلَخَتْها سَلْخاً** مِن ميزانيّةِ نفَقاتِ البيتِ، مُضحِّيةً بضَروريّاتٍ كثيرةٍ، **مُقتِّرةً** بما تَشتريهِ مِنَ **القَصّابِ** والسَّمّانِ والخَبّازِ. وأَيقنَتْ هُدى عندَئذٍ أَنَّ أُمنِيَّتَها الغاليةَ قَد غَدَتْ **أَضغاثَ أحلامٍ**، وأَنَّها لا بُدَّ عاجزةٌ عَن تكريمِ زَوجِها الحبيبِ في مناسَبةِ العيدِ، إذ كانَ كلُّ ما ادَّخرَتْهُ خِلالَ شُهورٍ لا يَكفي لِشراءِ دُميةٍ لِطِفلٍ!

قُبَيْلَ العيدِ، آنَ تُدَغدِغُ أَحلامَ النّاسِ، صغاراً وكباراً، أَمانيُّ السّعدِ والرّجاءِ، انطرَحَتْ هُدى على سَريرِها دافنةً رأسَها في راحتَيْها، وراحَتْ تَبكي ذارفةً على وِسادتِها الدَّمعَ السَّخيَّ. رَبّاهُ! كيفَ يَبكي المرءُ قُبَيلَ العيدِ، والعيدُ رمزٌ للأَمَلِ؟

سلخَتْها سلخاً: انتزعَتْها انتزاعاً.

قَتَّرَ: ضيَّقَ في النّفقةِ واقتصَد.

القَصّابُ: اللَّحّامُ.

أضغاثُ أحلامٍ: أحلامٌ مختلطةٌ وملتبسةٌ لا يَصحُّ تفسيرُها.

بَقيَتْ هُدى في تِلكَ الحالِ دقائقَ طويلةً مُستسلِمةً لليَأسِ والقُنوطِ. ثُمّ عادَتْ تَنفُضُ عَنها غَمامَ الكآبةِ، فجفَّفَتْ مُقلَتَيها، وقامَتْ إلى المرآةِ تُرتِّبُ هِندامَها، وتُصفِّفُ شَعرَها الذَّهبيَّ الطّويلَ، وكأنَّ البُكاءَ قَد مَسَحَ مُهجَتَها المُكْفهِرَّةَ ببَلْسمِ الصَّبرِ والعَزاءِ. أَخذَتْ تُزيِّنُ شَعرَها بعنايةٍ فائقةٍ كما كانَتْ تَفعلُ كلَّ مرّةٍ. لَم تَكُنْ تُعيرُه هَذهِ العنايةَ تَغاوياً مِنها أَوِ افتِخاراً، بَل لأنَّ زَوجَها نَبيلاً كانَ مولَعاً به ولَعاً يفوقُ حَدَّ الوَصفِ. كانَ يَقولُ لها بحَنانٍ، مُتمتِماً كما لَو يَتلو صلاةً أَو دُعاءً، كُلّما داعَبَ شَعرَها الّذي يَنسدِلُ على كَتفَيها ضَفائرَ طويلةً ناعمةً:

ـ ما أَجملَ شَعرَكِ يا حَبيبتي! هو ليسَ شَعراً كالّذي

القُنوطُ: اليأسُ.
مُقلَتَيها: عينَيها.
المُهجَةُ: الرّوحُ، النَّفْسُ.
البَلسمُ: مادّةٌ صَمغيّةٌ تُداوى بها الجِراحُ.
ينسدلُ: يَتدلّى.
الضَّفائرُ: الجَدائلُ.



يُزيِّنُ الخالقُ به رؤوسَ **الأنامِ!** إنَّهُ كالسَّتائرِ الذَّهبيَّةِ، وهُو أغلى عِندي مِنَ الذَّهَبِ والحريرِ.

انفَرَجَتْ **أساريرُ** هُدى عندَما تَذكَّرَتْ رِقَّةَ زَوجِها الحبيبِ وعُذوبةَ كَلماتِهِ وحُبَّهُ لها. وتَناولَتْ مِن على مِنضدةٍ أمامَ المرآةِ مُشطاً خشَبيّاً صغيراً لَملَمَتْ به خَصائلَ شَعرِها وشَكَّلَتْهُ في وَسَطِها، ثُمَّ عادَتْ إلى أعمالِ مَنزِلِها.

ولَمْ تَكَدْ تَخطو خُطوتَينِ حَتّى ارتدَّتْ ببُطءٍ نحوَ المِرآةِ. أَخَذَتْ شَعرَها بكِلْتا يَدَيها تُقلِّبُه وتَنظرُ إلَيهِ بإمعانٍ، وقَدْ لاحَ في عَينَيها شُعاعٌ مُفاجئٌ، **وخامرَتْها** فِكرةٌ طريفةٌ:

ـ في المَدينةِ حَلّاقونَ يَبتاعونَ الشَّعرَ النِّسائيَّ الجميلَ ليَصنعوا مِنهُ شَعراً مُستعاراً تُزيِّنُ به السّيّداتُ رؤوسَهُنَّ. لماذا لا أَبيعُ شَعري؟ فسأَستطيعُ أنْ أَشتريَ

الأنامُ: النّاسُ.
الأساريرُ: الخُطوطُ في الجَبهةِ أوِ الكفِّ.
خامَرَتْها: داخلَتْها.

بثمنهِ هديّةً تُفرِحُ قلبَ نَبيلٍ!... ولَكنْ ماذا يَكونُ مِن أَمرِ نَبيلٍ وشَعري مَدعاةٌ لفَخرِهِ وإعجابِهِ؟ هَل أَحرِمُه هَذهِ المُتعةَ؟ ولِمَ لا؟ أُضَحّي بشَعري، أَجَلْ، أُضَحّي به مُقابِلَ هديّةٍ يَرقصُ لها قَلبُ نَبيلٍ طرَباً!

٢

في هَذا الوقتِ بالذّاتِ كانَ نَبيلٌ، زَوجُ هُدى، جالساً إلى مَكتبِهِ في الشّرْكةِ الّتي يَعملُ فيها مُحاسِباً بسيطاً، يُصغي إلى زُملائِهِ **يَهرِجونَ** ويتحدّثونَ **بصَخَبٍ** عَن مشاريعِهِم لِليومِ التّالي. فهُم، قُبَيلَ حُلولِ العيدِ، قَد نَسُوا هُمومَ العملِ وفُروضَهُ. كانَ كلٌّ مِنهُم يُفاخِرُ بالهديّةِ الّتي سيُقَدِّمُها أَو يَتَلَقّاها في هَذهِ المُناسَبَةِ السَّعيدةِ. وكانَ نَبيلٌ يَنظرُ إِلَيهِم مُبتسِماً، شاردَ البالِ، لا **يَنبِسُ** بكَلمةٍ. وتَعجّبَ الباقونَ مِن صَمتِهِ وهُم يَعلمونَ أَنَّ نَبيلاً وزَوجَهُ يَتبادلانِ الحُبَّ حَتّى العِبادةِ، فسَأَلَهُ أَحدُهم مُلاطِفاً:

ـ وأَنتَ يا نَبيلُ، ماذا ستُقدِّمُ لِهُدى؟ لا ريبَ في أَنَّ الهديّةَ الّتي اختَرْتَها لها لا تَقِلُّ جَمالاً عَمّا ستُقدِّمُه هي لكَ!

هَرَجَ في الحديثِ: أفاضَ فيه وأكثرَ.
الصَّخَبُ: اختلاطُ الأصواتِ.
نَبَسَ: تكلَّمَ.

فنظَرَ إلَيهِ نَبيلٌ، والِابتسامةُ لا تَبرَحُ شَفَتَيهِ، وأجابَ:

ـ لَستُ أَدري! واللهِ لَستُ أَدري...

انصرفَ الموظَّفونَ كلٌّ إلى عملِهِ، و**عكَفَ** نَبيلٌ على واجباتِهِ **مُكِبّاً**، مُحاوِلاً **قُصارى جُهدِهِ** إكمالَ عملٍ كانَ عَلَيهِ إنجازُه في اليومِ عينِهِ. ولَكِنَّهُ عَبثاً كانَ يُحاوِلُ أَن يُلملِمَ شَتاتَ فِكرِهِ، فقَدْ كانَ في تِلكَ الفترةِ بعيداً، معَ زَوجِهِ الحبيبةِ، عقلاً وقلباً. وراحَتِ الفِكَرُ تَصطرِعُ في رأسِهِ صاخبةً مُبلْبَلَةً: أَتَكونُ هديّتُه إلى هُدى، مَلاكِهِ الحبيبِ، كهديّةِ زُملائِهِ إلى رفيقاتِ حياتِهِم؟ أَيقدِّمُ لها قُبّعةً، أَم شالاً مِن صوفٍ، أَم مِنديلاً مِن حريرٍ؟ أَيقدِّمُ لها قميصاً، أَم حقيبةً، أَم مِظَلَّةً؟ لا، لا يُمكنُه أَن يَختارَ مِن هَذهِ الهَدايا الّتي جاءَ ذِكرُها على لِسانِ زُملائِهِ هديّةً إلى هُدى، فلَيسَ في عِدادِها ما يُحقِّقُ ضالَّتَهُ. هديّتُه

عكف على الأمر: لزِمهُ مُواظِباً.

أكبَّ على الأمر: أقبلَ عليهِ ولزِمَهُ.

قُصارى جُهده: غايتُه وأقصاهُ، كلُّ مُستطاعِه.

إلى هُدى لا بُدَّ أن تكونَ هديّةً خاصّةً، لا كالّتي يُقدِّمُها النّاسُ بدافعِ الواجبِ والتّقليدِ. هديّتُه لها يجبُ أن تكونَ بمُستوى حُبِّهِما الكبيرِ، تُعبِّرُ عَن فائقِ إعجابِهِ بحُسنِها، وبرِقَّتِها، و**بخِصالِها**...

استفاقَ نَبيلٌ مِن تأمُّلاتِهِ المُضطرِبةِ على خَيبةٍ كالّتي انتابَتْ هُدى حينَما راحَتْ تُفكِّرُ في هديّتِها. فقَدِ ادَّخَرَ لِهَذهِ المناسَبةِ ما استطاعَ إلى الِادِّخارِ سبيلاً: فلِأَشهُرٍ خَلَتْ لَم يَتناولِ القهوةَ في المكتبِ، ولَمْ يُدخِّنْ مِنَ السَّجايرِ في تِلكَ الفَترةِ غيرَ القليلِ القليلِ. وبلَغَتْ مِنهُ محاوَلاتُ التّوفيرِ أَن حَرَمَ نفسَهُ أشياءَ كثيرةً خِلالَ وَجَباتِ الطّعامِ الّتي كانَ يَتناولُها خارجَ البيتِ، ساعةَ يُضطَرُّ إلى إنهاءِ أعمالٍ مُستعجَلةٍ في مَقرِّ الشِّركةِ. ولَكنْ ما نَفعُ ذَلكَ كلِّهِ؟ فمُحاولاتُه المُتعدِّدةُ لَم **تُجنِ** غيرَ **الطَّفيفِ** مِن ثمارِ الجُهودِ والحِرمانِ.

الخِصالُ: الصّفاتُ الحميدةُ، الفضائلُ.
أجنى: أَعطى الجَنى أي الثَّمرَ.
الطّفيفُ: القليلُ.

وانهالَتِ الهَواجسُ على نَبيلٍ، فمَلَّ عملَهُ، وتَملَّكَهُ شوقٌ جامحٌ إلى مشاهَدةِ زَوجِهِ، إلى ضمِّها وتَقبيلِها، ومُداعَبةِ شَعرِها الذَّهبيِّ السّاحِرِ. فقُربُ هُدى يُنسيهِ هُمومَهُ وآلامَهُ في أَشدِّ المَواقِفِ تأزُّماً وحَرَجاً. وشَعَرَ بأَنَّ الثَّوانيَ تَنقضي بطيئةً، ثقيلةَ الخُطى، كأنَّ عجَلةَ الزّمانِ قَد توقَّفَتْ عَنِ الدَّوَرانِ.

لجأَ نَبيلٌ إلى ساعتِهِ يَستطلِعُها الوقتَ لعلَّها تُنبئُه بحُلولِ مَوعِدِ الانصرافِ. تَناولَ السّاعةَ من جَيبِ سُترتِهِ وأَلقى إلَيها نِظرةً سريعةً: إنَّها ساعةٌ مُستديرةٌ مِنَ الذّهبِ الخالصِ، نقَشَتْ أَيدي الصُّنّاعِ الماهرينَ على غِطائِها عُروقاً ذاتَ أشكالٍ بديعةٍ مُتناسِقةٍ. ساعةُ الجَيبِ هَذهِ تَوارَثَها أَبوهُ عَن جَدِّهِ، والجدودُ عَنِ الأَسلافِ، أجيالاً صالحةً. وقَدْ عُنِيَ بها أصحابُها أَشَدَّ العنايةِ، حَتّى **انتهَتْ إلى** نَبيلٍ في أَحسنِ حالٍ، **فخَصَّها**، شأنَ مَن سبَقَهُ، بعنايةٍ واهتمامٍ فائقَينِ؛ حَتّى إنَّ صديقَهُ

انتهى إلى: وصلَ إلى.
خَصَّهُ بكَذا: فضَّلَهُ به وأَفردَهُ له.

كاملاً، وهو ساعاتيٌّ معروفٌ في المَدينةِ، قالَ له ذاتَ يومٍ:

ـ ساعتُكَ يا نَبيلُ تُحفةٌ نادرةٌ، قَلَّما تَجِدُ لها مثيلاً في أيّامِنا هَذهِ. ولَسَوفَ أَشتريها مِنكَ بثمَنٍ جيّدٍ إذا رَغِبْتَ يوماً في بَيعِها.

وقَدْ أجابَ نَبيلٌ صديقَهُ السّاعاتيَّ آنذاكَ مُبتسِماً:

ـ أنا لا أتَخلّى عَن هَذهِ السّاعةِ يا كاملُ، ولَوْ قَدّمْتَ لي أموالَ الدُّنيا كلَّها.

هَمَّ نَبيلٌ بأَن يُعيدَ السّاعةَ إلى جَيبِهِ؛ بَيدَ أَنَّ يدَهُ تَوقّفَتْ عِندَ صَدرِهِ بدافِعٍ سِحريٍّ، ولاحَتْ على وَجهِهِ إشراقةٌ طارئةٌ. رَفَعَ نَبيلٌ ساعتَهُ الجميلةَ المُتدلّيةَ في طَرَفِ خيطٍ غليظٍ مِنَ الصّوفِ المجدولِ، ونظَرَ إليها عَن كَثَبٍ. وبَقيَ على هَذهِ الحالِ يُقلّبُها في كَفِّ يدِهِ كما لَو كانَ يَراها لأوّلِ مرّةٍ، فيما راحَ صوتٌ باطنٌ يُخاطبُه ويَقولُ: «نَبيلُ! هو ذا الحَلُّ أمامَ عَينَيكَ،

هَمَّ بالأمرِ: أرادَهُ وعزَمَ عليه.
الكَثَبُ: القُربُ.

ساعتُكَ الذَّهبيّةُ هي مِفتاحُ فرَجِكَ، وهِيَ الّتي ستُبدِّدُ كآبتَكَ».

أَجَلْ! كانَتْ ساعةُ نَبيلٍ حَلّاً لمُشكِلتِهِ. كيفَ؟ لقَدْ فَكّرَ في أن يَبيعَها! وما كادَتْ هَذهِ الفِكرةُ تَعبُرُ مُخيِّلتَهُ حَتّى ارتَسَمَتْ أمامَهُ صورةُ الهديّةِ الّتي سيُقدِّمُها إلى هُدى: سيَبيعُ ساعتَهُ ليَشتريَ بثَمَنِها مجموعةً رائعةً مِنَ الأَمشاطِ العاجيّةِ المُرصّعةِ بالأَحجارِ الكريمةِ كانَتْ زَوجُه قَد شاهَدَتْها في واجهةِ محلٍّ كبيرٍ، فوَقَفَتْ تَنظُرُ إلَيها بإعجابٍ شديدٍ، محبوسةَ الأَنفاسِ، جاحظةَ العَينَينِ. في ذَلكَ اليومِ أَحسَّ نَبيلٌ بأَنَّ زَوجَهُ قَد أَحبَّتْ تِلكَ المجموعةَ كما لَم تُحِبَّ أَيَّ سِلعةٍ أُخرى. ولَكنّها أَخْفَتْ عَنهُ رَغبتَها لعِلمِها أَنَّهُ لَن يَتمكّنَ مِن شِرائِها وهُما في حالٍ ماديّةٍ ضَيّقةٍ لا مَجالَ فيها للتَّبذيرِ. وأَمّا هو فقَدِ استَدارَ آنذاكَ، ومَشى **مُطأطِئَ الرَّأْسِ**، حزيناً، بعدَما قَرَأَ على قُصاصةٍ مِنَ الورَقِ، عُلِّقَتْ في **حاشيةِ**

طَأْطَأَ الرَّأسَ: خَفَضَهُ.
الحاشِيَةُ: الجانبُ، النّاحيةُ.

المجموعةِ الرّائعةِ، ثَمَنَ الأَمشاطِ السّحريَّةِ، وهُو ثَمَنٌ كانَ يُعادِلُ نِصفَ راتِبِهِ الشّهريِّ!

شَعَرَ نَبيلٌ بضيقٍ في صَدرِهِ وهُو يُفكِّرُ في مَصيرِ ساعتِهِ، وهِي بالنّسبةِ إليه تُراثٌ عائليٌّ **نَفيسٌ**. إلّا أَنَّ حُبَّهُ الشّديدَ لِهُدى جاوَزَ هَذا الاِعتبارَ، إذ تَمثَّلَ زَوجتَهُ وَهِي تَتمايلُ بقامتِها **الهَيفاءِ**، والأَمشاطُ الوَهّاجةُ تُزيِّنُ ضَفائرَ شَعرِها؛ فتَلاشى تَرَدُّدُه، وتَذكَّرَ ما قالَهُ له صديقُه السّاعاتيُّ كاملٌ ذاتَ مرّةٍ، فتسارعَتْ دقّاتُ قَلبِهِ غِبطةً وابتهاجاً...

النّفيسُ: الثّمينُ الّذي يَتنافسُ النّاسُ فيه.

الهَيفاءُ: الرّقيقةُ الخصرِ والضّامرةُ البطنِ، النّحيفةُ المُتناسقةُ

٣

خرَجَتْ هُدى إلى المَدينةِ بعدَما **فرَغَتْ مِن** شؤونِ مَنزِلِها. كانَ قَلبُها يَنبِضُ بشِدّةٍ، تُداعبُه أحلامُ الفرَحِ تارةً، ويَنقبِضُ تارةً أُخرى مِن **هَولِ** ما كانَتْ مُقدِمةً علَيهِ. وبعدَما سارَتْ طويلاً في الشّوارعِ، تَنقادُ لخُطاها انقيادَ التّائِهِ الضّالِّ، تَوقّفَتْ قُربَ محلِّ حَلّاقٍ نِسائيٍّ ذائعِ الصّيتِ. وحانَتْ مِنها التِفاتةٌ إلى مَعروضاتِ التّزيينِ في إحدى واجهاتِهِ العريضةِ، فرَأَتْ بينَها **جُمَماً** مستعارةً كثيرةً، ذاتَ ألوانٍ مُختلِفةٍ؛ **فتَجهَّمَ** وَجهُها لَدى مُشاهَدتِها تِلكَ الباقاتِ الجميلةَ فوقَ قَوالِبِها الحجَرِيّةِ الباردةِ، وخُيِّلَ إلَيها أنّها ترى شَعرَها معروضاً ضِمنَ تِلكَ المجموعةِ وقَدْ جُزَّ مِن مَنبِتِهِ عديمَ الحياةِ. وكادَتْ أن تَعودَ أدراجَها **مُنْثنِيةً عَن** عَزمِها لَو لَم يَردَعْها

فرَغَ مِنَ الأمرِ: أتمَّهُ وأنجزَهُ.

الهَولُ: الضّخامَةُ والمخافةُ مِنَ الأمرِ.

الجُمَمُ: مفردُها الجُمّةُ وهي مجتمَعُ شَعرِ الرّأسِ.

تجهَّمَ: عبَسَ.

انثَنى عَنِ الأمرِ: ارتدَّ وانصرَفَ.

عَن هَذا صوتُ عاطفتِها.

دفَعَتْ هُدى البابَ ودخَلَتْ، فاستقبَلَها رَجلٌ مُتأنِّقٌ رحَّبَ بها وسأَلَها عَن حاجتِها، فأجابَتْهُ بصوتٍ مُرتجِفٍ أنَّها تُريدُ أن تَبيعَ شعرَها؛ فابتَسمَ لها الحَلّاقُ، وطَلَبَ أن يُلقِيَ علَيهِ نِظرةً فاحصةً. وما إن نَزَعَتْ هُدى المُشطَ الخَشبيَّ الّذي كانَتْ **تَعقِصُ** به شَعرَها حَتّى تَراخى على كَتِفَيها، كما المعتادُ، ضَفائرَ طويلةً فائقةَ الحُسنِ. قالَ لها الحَلّاقُ، وهُو يُحاوِلُ كَتْمَ اغتباطِهِ بشَعرِها الثَّمينِ، إنَّهُ يَبتاعُه بمئةِ ليرةٍ. وقَبِلَتْ هُدى عَرْضَهُ مِن غيرِ جِدالٍ أو مُساوَمةٍ، فأجلسَها الحَلّاقُ على كُرسيٍّ **وثيرٍ** مُواجِهٍ لِمرآةٍ كبيرةٍ، وتَناولَ مِقصَّهُ وشَرَعَ يَقُصُّ الشَّعرَ بكثيرٍ مِنَ التّأنّي والانتباهِ. وراحَتْ هُدى تَنظُرُ إلى الضَّفائرِ تَتساقطُ في يَدِ الرَّجلِ الواحدةُ تِلوَ الأُخرى، وقَدِ انسابَتْ مِن مُقلتَيها دَمعتانِ لُؤلُئِيّتانِ...

عقصَت المرأةُ شعرَها: ضَفَرَتْهُ وشَدَّتْهُ في قفاها

الوثيرُ: الوطيءُ اللَّيِّنُ المُريحُ.

غادَرَتْ هُدى حانوتَ الحَلّاقِ وهِي تُحكِمُ لفَّ رأسِها **بِمنديلِها**، كأنَّها تُريدُ إخفاءَ صَنيعِها عَن أَعيُنِ المارّةِ. ودَسَّتْ يدَها في جَيبِها تَشُدُّ بأصابعِها على ورَقةِ المئةِ ليرةٍ، ثُمَّ انطَلَقَتْ تَسيرُ بمُحاذاةِ الحَوانيتِ وصالاتِ العَرضِ الكثيرةِ، وهِي تَجولُ ببَصرِها في كلِّ هديّةٍ وكلِّ صِنفٍ. وطالَ بها **التَّطوافُ** حتّى استقَرَّتْ أخيراً أمامَ محلٍّ ساعاتيٍّ. وكَم كانَتْ فَرحتُها عظيمةً حينَ شاهَدَتْ بينَ السّاعاتِ المنوَّعةِ شيئاً عَلِقَ به اهتمامُها ومَلَكَ عليها أنفاسَها: إنَّها سِلسلةٌ ذهبيّةٌ مُتشابِكةُ الحَلَقاتِ، في عُلبةٍ مُبطَّنةٍ بالمُخمَلِ الأَزرقِ، غايةٌ في الإتقانِ، مصنوعةٌ خِصّيصى لتُعلَّقَ بها ساعاتُ الجَيبِ!

لَم تَتردَّدْ هُدى ثانيةً واحدةً، ودخَلَتْ محلَّ السّاعاتيِّ وهِي تُخاطِبُ نفْسَها قائلةً: «هَذهِ هديّةُ نَبيلٍ. سيُحبُّها ولا رَيبَ، وسيُعلِّقُ بها ساعتَهُ **النّادرةَ** الّتي اقترَنَتْ

المِنديلُ: نسيجٌ تضعُه المرأةُ على رأسِها وتَشُدُّه بشعرِها.
التَّطوافُ: التَّجوالُ.
النّادرُ: القليلُ الوجودِ.

بخَيطِها الغليظِ طَوالَ هَذهِ السّنينَ...».

ابتاعَتْ هُدى السّلسِلةَ الذَّهبيَّةَ بتِسعينَ ليرةً، ثُمَّ خَرَجَتْ مسرورةً، ناعمةَ البالِ.

٤

كانَ نَبيلٌ عائداً إلى البيتِ وهُو يَحملُ تحتَ إبطِهِ هديّةَ هُدى، وقَلبُه يَقرَعُ تأثُّراً. وشَعَرَ بأنَّ طريقَ المَنزلِ، هَذا الطّريقَ الّذي أَلِفَتْهُ قَدَماهُ طويلٌ لا نهايةَ له.

وما إن وَصَلَ إلى مَدخَلِ المَنزِلِ حَتّى تَسنَّمَ درَجاتِ السُّلَّمِ أَربعاً أَربعاً. وتَناولَ مِفتاحَ شِقَّتِهِ ففتَحَ البابَ بيَدٍ مُرتعِشةٍ، ثُمّ دَخَلَ وهُو يَصيحُ، ووَجهُه يَطفَحُ بِشْراً:

ـ هُدى، حَبيبتي. تَعالَي، كلَّ عامٍ وأنتِ بخيرٍ!

أَقبلَتْ هُدى مُسرِعةً ضاحكةً وهِي في مِثلِ حالِهِ غِبطةً وتأثُّراً، فطوَّقَها نَبيلٌ بذِراعَيهِ، وعانَقَها وهُو يَهمِسُ في أُذُنِها أَعذبَ الكلامِ. ولأوَّلِ وَهلةٍ لَم يَلحَظِ التَّحوُّلَ الّذي طَرَأَ على زَوجتِهِ؛ ولَكنَّهُ، حينَ مَدَّ يدَهُ لِمداعبَةِ شَعرِها، تَراجعَ مُجفِلاً وهُو يَنظرُ إلَيها جاحظَ العَينَينِ، وقَدْ سمَّرَهُ الذُّهولُ.

قالَ لَها بصوتٍ اختَنَقَتْ نَبَراتُه:

تَسنّمَ الشّيءَ: عَلاهُ ورَكِبَهُ، وهُنا بِمَعنى تَسلَّقَ وصَعِدَ.

ـ هُدى، حَبيبتي، ماذا أَرى؟! شعرُكِ! ماذا فعَلْتِ بِشَعرِكِ؟

ابتَسَمَتْ له هُدى ابتِسامةَ دَلَعٍ وأَجابَتْ:

ـ شَعري؟ إي، شَعري!... سأُخبِرُكَ حالاً، ولَكِنْ قبلَ هذا أُريدُ مِنكَ أَن تَبقى هُنا رَيثَما أَذهبُ إلى غُرفتِنا وأَعودُ. لا تَتحرَّكْ، امكُثْ حَيثُ أَنتَ.

ورافقَ نَبيلٌ زَوجَهُ بنظَرِهِ وهِي تتَّجِهُ نَحوَ الغُرفةِ بخُطىً مُتهاديةٍ، والدَّهشةُ تَرتسِمُ على مُحيّاهُ، وهُو يُحاوِلُ عَبثاً سَبْرَ هَذا الغُموضِ الّذي طَغى على تَصرُّفاتِ زَوجِهِ.

عادَتْ هُدى وَوَقفَتْ أمامَ نَبيلٍ، ويَداها مَعقودتانِ وراءَ ظَهرِها، وقالَتْ له:

ـ عامٌ سعيدٌ يا حَبيبي! أَغمِضْ عَينَيكَ، لَديَّ مفاجأةٌ لَكَ.

وقَفَ نَبيلٌ **مُذعِناً**، ثُمّ فَتَحَ عَينَيهِ نُزولاً عِندَ طلَبِ

سَبرَ البئرَ أو الماءَ أو الجُرحَ: امتَحَنَ عُمقَها ليَعرفَ مقدارَهُ، وهنا استعارَهُ الكاتبُ للغموضِ.

مُذعِناً: خاضعاً.

هُدى، فأَبصرَ العُلبةَ المُخمليَّةَ مفتوحةً في إحدى يدَيها والسّلسِلةُ الذّهبيَّةُ تُشِعُّ متألّقةً في داخِلها!

قصَّتْ هُدى على زَوجِها حكايتَها مِن أوّلِها، فاستَرخى نَبيلٌ على أَحَدِ المَقاعدِ يَمسحُ بيَدِهِ عَرَقاً بارداً تصبَّبَ مِن جَبينِهِ **الشّاحِبِ**. ولَكنْ سُرعانَ ما تَبدّلَتْ حالُه بعدَما انجَلى المَوقِفُ، وأَدركَ أنَّ عملَهُ وعملَ زَوجِهِ كانا بدافِعِ الحُبِّ والتّضحيةِ.

نَظَرَ نَبيلٌ إلى زَوجِهِ ضاحكاً، ثُمَّ قالَ لها:

ـ وأمّا الآنَ فقَدْ جاءَ دَوري. لقَدْ جِئتُكِ بِهَديّةٍ تُحِبّينَها. ولَكنِ اسمَعي يا حَبيبتي كيفَ حصَلْتُ عليها.

وسرَدَ نَبيلٌ حكايتَهُ، فلَمْ تَكُنْ دَهشةُ هُدى وتأثُّرُها بأقلَّ مِن دَهشتِهِ وتَأثُّرِهِ.

فَضَّ نَبيلٌ غِلافَ العُلبةِ، ورأَتْ هُدى مجموعةَ الأَمشاطِ الثّمينةَ، فارتمَتْ بينَ يدَيهِ تُقبِّلُه وتَسكُبُ دُموعَ الفرَحِ.

الشّاحِبُ: المُتغيِّرُ اللّونِ.



قالَتْ هُدى:

ـ لا تَيأَسْ يا نَبيلُ، إنَّ شَعري سيَنْمو بِسُرعةٍ ويَعودُ إلى سابقِ عَهدِهِ. ولَسَوفَ يَأتي يومٌ تَعودُ فيه إلى البيتِ فتَرى هُدى وقَدْ زَيَّنَتْ ضَفائرَها بأَمشاطِكَ الرّائعةِ.

وأجابَ نَبيلٌ باندفاعٍ وعَزمٍ:

ـ وأمّا أنا يا هُدى فسأَذهَبُ مُنذُ الغدِ إلى صديقي السّاعاتيِّ، فأَطلُبُ إلَيهِ ألّا يَبيعَ السّاعةَ أَحداً. وسأَعملُ على استِرجاعِها مَهما كلَّفَ الأَمرُ مِن تَضحيةٍ **وعَناءٍ**.

أَمضى الزَّوجانِ المُحبّانِ مَواسمَ العيدِ في غَمرةِ السّعادةِ والسُّرورِ. ولَمْ تَمضِ سنةٌ واحدةٌ حَتّى كانَ شَعرُ هُدى **يُمعِنُ نُمُوّاً** وكَثافةً، فعادَ أَجملَ مِن ذي قَبْلُ. وأمّا نَبيلٌ فقَد تَمكَّنَ مِنِ استِردادِ ساعتِهِ بفَضلِ **مُثابَرتِهِ** وإرادتِهِ، فعلَّقَها بسِلسِلتِها الجميلةِ راضياً سَعيداً.

العَناءُ: التَّعبُ.

يُمعِنُ نُمُوّاً: يكثُرُ ويُبالِغُ في النُّموِّ.

المُثابَرةُ على الأَمرِ: المواظَبةُ عليهِ والمُداوَمةُ.

قصة

سُلطانُ اللّيلِ

حدَثَتْ وَقائعُ هَذهِ القصّةِ في الزّمانِ الغابرِ، آنَ كانَتِ الدُّنيا كلُّها مَمالكَ وإماراتٍ، فيها الغنيُّ والفقيرُ، والقصرُ والكوخُ الحَقيرُ.

في ذَلكَ العصرِ، وفي إحدى تِلكَ الإماراتِ، عاشَ صانعُ أَحذيةٍ اسمُه تَوفيقٌ؛ كانَ رَبّاً لعائلةٍ كبيرةٍ يَعيشُ معَ زَوجِهِ وأَولادِهِ في فَقرٍ **مُدقِعٍ**. وكانَ تَوفيقٌ يَعملُ ليلَ نهارَ، لا لتَحصيلِ **كَفافِ** رِزقِهِ فحَسْبُ، بَل ليَأمَنَ جانبَ بعضِ زُبُنِهِ الّذينَ كانوا يُسيئونَ مُعامَلَتَهُ: يُرهِقونَهُ

المُدقِعُ: الشّديدُ.

الكَفافُ مِنَ الرّزقِ: ما كفى وأغنى عَنِ الحاجةِ إلى النّاسِ.

بمَطالِبِهِم، يُريدونَ أَحذيَتَهُم جاهزةً في ظُروفٍ صَعْبةٍ وفَتَراتٍ قصيرةٍ، فيَرضَخُ لإرادتِهِم، ويُلَبّي رَغبَتَهُم، خوفاً مِن غضَبِهِم.

في ليلةٍ باردةٍ مِن ليالي الشّتاءِ القاسي، مكَثَ تَوفيقٌ، حَتّى ساعةٍ مُتأخّرةٍ، في حانوتِهِ الضَّيّقِ **المُتاخِمِ** لكوخِهِ المُتداعي، يَكدَحُ ويَجِدُّ لإنجازِ حذاءٍ لأَحدِ زُبُنِه، وكانَ رَجلاً لا يَعرفُ الشَّفَقَةَ ولا الرَّحْمةَ. غَمَرَتْ تَوْفيقاً في ذَلكَ الوقتِ مَوجةُ **سُخطٍ عارمٍ**: إنَّهُ يَصنعُ الأَحذِيةَ لِذَوي النِّعمةِ والرَّخاءِ، فيما انتَعلَ هو حِذاءً قَد تَفتَّقَ، وبرَزَتْ مِنهُ أصابعُ قَدَمِيهِ وقَدْ أَمعَنَتْ فيها لَسَعاتُ البَرْدِ الجارحِ تَصلُّباً ووَرَماً! هو يُسامِرُ اللّيلَ بطولِهِ يُعالِجُ النَّعلَ والخَيطَ والصَّمغَ ليَجعلَ مِنها نعيمَ دِفءٍ لأَقدامِ أُناسٍ باتوا السّاعةَ في أَسرَّتِهِم الوَثيرةِ، وأولادُه في

المُتاخِمُ: المُلاصِقُ، المتَّصلُ حدُّه بحَدِّ ما بجانِبِه.

السُّخطُ: الغَضبُ والكُرهُ وعدَمُ الرِّضى.

العارِمُ: الشّديدُ.



الكوخِ المُجاوِرِ يَنامونَ مُتراصّينَ، وأجسامُهُمُ الهَزيلةُ المُتَلاصِقَةُ هي باعثُ الدِّفءِ الوحيدُ...

أَكبَّ تَوفيقٌ على عملِهِ ليَفرَغَ من صُنعِ ذَلكَ الحِذاءِ اللّعينِ قبلَ انقضاءِ اللّيلِ، فيُسلّمَهُ إلى صاحبِهِ في صبيحةِ اليومِ التّالي. كانَ الرَّجلُ قد قالَ لِتَوفيقٍ بلَهجةٍ قاسيةٍ لا تَقبلُ الجِدالَ:

ـ أُريدُ هَذا الحِذاءَ جاهزاً لألبَسَهُ في الحفلةِ الّتي يُقيمُها أميرُنا في نهايةِ الأُسبوعِ.

رفَعَ تَوفيقٌ كَتفَيهِ بسُخطٍ وهَزَّ رأسَهُ مُتَملمِلاً. حفلةُ الأَميرِ! مَن مِنْ سُكّانِ المَدينةِ لَم يَسمَعْ بتِلكَ الحفلةِ؟ لقَدْ تَناهى خبَرُها إلى مَسامعِ الفُقَراءِ وعامّةِ الشّعبِ، وأمّا الأَغنياءُ والنُّبلاءُ والأَعيانُ فكانوا جميعاً مَدعُوّينَ إلَيها. أمّا لماذا دَعا الأَميرُ إلى تِلكَ الحفلةِ، فلأنَّهُ قد رُزِقَ وَليّاً للعَهدِ بعدَ انتظارٍ دامَ طَوالَ سَنواتِ زَواجِهِ العَشْرِ!

ضَحكَ تَوفيقٌ مِن سُخريّةِ القَدَرِ: هو أبٌ لعَشَرةِ أولادٍ

يَكادُ لا يَسُدُّ رَمَقَهُم بما يُكابِدُه مِن عَناءٍ وتَضحياتٍ؛ والأَميرُ، ذَلكَ المُتربِّعُ على عَرشِ الثَّروةِ والجاهِ، يُقيمُ الوَلائمَ والاحتفالاتِ لأنَّ اللهَ قَد رَزَقَهُ ولداً وحيداً بعدَ يأسٍ طويلٍ! ذَلكَ رَجلٌ أنعمَ اللهُ عليهِ بالغِنى والسُّلطانِ وحرَمَهُ نِعمةَ البَنينَ، وتَوفيقٌ رَجلٌ ما وهَبَهُ اللهُ قَطُّ غيرَ البَنينَ!

وفكَّرَ تَوفيقٌ، بمَرارةٍ وحِقدٍ، في أولَئكَ الّذينَ باتوا يُعِدّونَ العُدّةَ لحُضورِ الاحتفالِ، وقُلوبُهُم تَطفَحُ غِبطةً، وهُم يُهلِّلونَ للحدَثِ العظيمِ؛ فتَذكَّرَ في الحالِ زَبونَهُ الغريبَ الأَطوارِ، إذِ استَدعاهُ إلى مَنزِلِهِ قبلَ يومَينِ ليأمُرَهُ بصُنعِ حِذائِهِ، وتَذكَّرَ أيضاً ما شاهَدَهُ مِن أمرٍ عَجَبٍ في مَنزلِ ذَلكَ الإنسانِ: فحينَ أُذِنَ لِتَوفيقٍ بالدُّخولِ كانَ الرَّجلُ **قابعاً** في زاويةٍ مِنَ الغُرفةِ، وبينَ يدَيهِ إناءٌ يَمزُجُ فيه مَسحوقاً كالدَّقيقِ، وهُو يُتَمتِمُ بكَلماتٍ مُبهَمةٍ.

الرَّمقُ مِن العَيش: القليلُ الّذي يُمسِكُ بقيّةَ الحياة.

كابَدَ الأمرَ: قاساهُ وعاناهُ وتحمّلَ المشاقَّ في فِعلِه.

قابعاً: مُتوارياً.

ولَمْ تَمضِ لحَظاتٌ، وتَوفيقٌ واقفٌ في حَضرةِ زَبونِهِ لا يَأتي حَراكاً، حَتّى تَصاعدَ مِنَ الإناءِ الّذي كانَ بينَ يَدَي الرَّجلِ دُخانٌ أَسودُ كثيفٌ أَعقَبَهُ بَريقٌ أَحمرُ ناريٌّ، **فأَجفَلَ** توفيقٌ وتَراجعَ إلى الوَراءِ. ثُمَّ غادرَ مَنزلَ الزَّبونِ مُندهِشاً مِمّا رآهُ، وهُو يُردِّدُ في قَرارةِ نَفسِهِ: «يا إلَهي! إنَّ مَن يَخافُ اللهَ لا يَقومُ بمِثلِ هَذهِ **الشَّعْوَذاتِ**، ولا يُمارِسُ السِّحرَ كما يَفعلُ هَذا الرَّجلُ!».

استَأنفَ تَوفيقٌ عمَلَهُ، تَصطرِعُ في رأسِهِ هَواجسُ وهُمومٌ، فتاهَ في بحرِ تأمُّلاتِهِ و**أباديدِ أحلامِهِ**، وتَمَنّى لَو يُصبِحُ غَنيّاً، ولَو لفَترةٍ وجيزةٍ مِنَ الزّمَنِ، ليُرهِقَ النّاسَ وصانِعي الأَحذِيةِ، فيُطفئَ مِنهُم غليلَهُ، ويَثأرَ لحالِهِ **العاثِرةِ**.

نَظَرَ تَوفيقٌ فجأةً إلى الحِذاءِ، فإذا به قَد أَنجزَ صُنعَهُ، فلَفَّهُ في مِنديلٍ أَحمرَ كبيرٍ وخرَجَ يَحمِلُه إلى زَبونِهِ.

أَجفَلَ: اضطربَ ونَفَرَ.

الشَّعْوذاتُ: أعمالُ السّحرِ وخفّةِ اليدِ وجعلِ النّاسِ يرون ما ليسَ واقعاً.

أباديدُ الأَحلامِ: الأَحلامُ المتفرّقةُ والمُشتّتةُ.

العاثِرةُ: التّاعِسةُ.

كانَ الثّلجُ يَتساقطُ كثيفاً، مُتَرامِيَ الأَطرافِ، و**القُرُّ** قَد بلَغَ أَشَدَّهُ. حَمَلَ الحِذاءَ تحتَ إِبْطِهِ ودَسَّ يَدَيهِ في جَيبَي سُترَتِهِ البالِيةِ، ولَكنَّ البَرْدَ الجَليديَّ كانَ يَخترقُ ثِيابَهُ الرَّثَّةَ وجسَدَهُ الهَزيلَ ليَستقرَّ في عِظامِهِ. راحَ يَنظرُ حَولَهُ إلى النّاسِ الّذينَ كانوا يَسيرونَ بخُطىً **وئيدةٍ**، يَرتَدونَ مَعاطفَ ثَقيلةً وثِياباً مُبطَّنَةً وقُبَّعاتٍ مِنَ الفَروِ الكثيفِ، وإلى عَرَباتِ الأَغنياءِ تَجُرُّها الخُيولُ **المُطهَّمةُ**، تَقطَعُ الشّارعَ بخُيَلاءَ وتُحرِّكُ في أعقابِها عَواصفَ ثَلجٍ وماءٍ. وكانَ بعضُ المارّةِ يَنظرونَ إلى تَوفيقٍ وهُم يُجاوِزونَهُ، فيُمعِنونَ فيه النّظرَ وفي عيونِهِم قَرَفٌ واشمِئزازٌ. وكانَ بعضُ هَؤلاءِ يَسلُقونَهُ بسِياطِ أَلسِنَتِهِم، فيَقولونَ: «انظروا إلى هَذا الشَّريدِ! مَن كانَ في مِثلِ حالِهِ لا يَخرجُ في ليلةٍ كهَذهِ! يا له مِن مخلوقٍ رهيبٍ!»؛ أَو: «انظروا إلى صانعِ الأَحذِيةِ كيفَ يَسيرُ

القُرُّ: البَرْدُ.

وئيدةٌ: بطيئةٌ مُتَثاقِلةٌ.

المطهَّمةُ: التّامّةُ الجمالِ.

شبهَ عارٍ... يا لَوَقاحتِهِ! يُخالطُ الأَشرافَ في الطُّرقاتِ في مِثلِ هَذهِ السّاعةِ، بينَما يَستترُ أَمثالُه في **جُحورِهِم** مُنطَوينَ على بؤسِهِم»؛ أَو: «أَترَونَ ثيابَهُ ومَظهرَهُ؟ إنَّ مَرآهُ لَيُثيرُ الِاشمئزازَ!».

حَثَّ المِسكينُ خُطاهُ مُتجاهِلاً أَلسِنةَ النّاسِ، حَتّى وصَلَ إلى مَنزِلِ زَبونِهِ. أَدخلَهُ الخادمُ كما في المرَّةِ السّابقةِ، فرَأى الرَّجلَ مُنهمِكاً في تحضيرِ **عقاقيرِهِ**، مُنصرِفاً إلى نَشاطِهِ الغريبِ بجَوارحِهِ كلِّها. لم يَتعجَّبْ تَوفيقٌ ساعةَ شاهدَ سَحابةَ الدُّخانِ الأسودِ، والبريقَ الأَحمرَ، يَتصاعدانِ مِنَ الوِعاءِ، بَلِ انتَظَرَ وَجِلاً حَتّى فرَغَ الرَّجلُ مِن عمِلِهِ، فانحَنى تَوفيقٌ أَمامَهُ باحترامٍ وقالَ:

ـ سَيِّدي، لقَدْ جِئتُكَ بحِذائِكَ؛ إنَّهُ حِذاءٌ مُمتازٌ يَليقُ

الجُحورُ: مفردُها الجُحرُ وهو مكانٌ تبيتُ فيهِ السِّباعُ والحيواناتُ المفترسةُ، وهنا استعمَلَهُ الكاتبُ على لسانِ النّاسِ تحقيراً لبيوتِ الفقراءِ.

حَثَّ: حَضَّ ونَشَّطَ، وحثَّ خُطاهُ: سَرَّعَها.

العقاقيرُ: مفردُها العَقّارُ وهُوَ الدَّواءُ.

بقدَمَي سَعادتِكَ الكريمتَينِ!

أجابَ الرَّجلُ وهُو يُشيرُ بكِبرياءٍ:

ـ ضَعْهُ على الطّاولةِ هُناكَ، وَلْيُعطِكَ مُدبِّرُ البيتِ ثمنَهُ.

استمهَلَهُ تَوفيقٌ وهُو يَقولُ:

ـ ولَكنْ، ألا تُريدُ أن تُجرِّبَهُ يا سَيِّدي؟

نظَرَ الزَّبونُ إليهِ بخُبثٍ وأجابَهُ بتأنٍّ:

ـ أجَلْ! أجَلْ! تعالَ، ضَعِ الحِذاءَ في قدَميَّ...

اقتربَ مِنهُ تَوفيقٌ و**جَثا** أمامَهُ، ثُمَّ خَلَعَ له الحذاءَ الّذي كانَ يَلبَسُه. وما إن وَقَعَ بَصَرُه على قَدَمَيِ الرَّجلِ حتّى **اقشَعرَّ** بَدَنُه وَتَملَّكَهُ الذُّعرُ، فتَراجعَ وهُو يَكادُ لا يُصدِّقُ ما رأتْهُ عَيناهُ! فقَد كانَ للرَّجلِ حافرانِ كَحوافِرِ البَهائمِ، بدَلاً مِن أن تَكونَ له قدَمانِ كأقدامِ الآدميّينَ!

وهَمَّ تَوفيقٌ بأَن يَسيرَ **القَهْقرى** يَعتزِمُ الفِرارَ، ولَكنَّهُ

جَثا: رَكَعَ.

اقشعَرَّ: ارتعَدَ، تَخشَّنَ.

القَهْقَرى: الرّجوعُ إلى الوراءِ.

تَوَقَّفَ بُرهةً بعدَما اتَّضَحَ أمامَهُ كلُّ شيءٍ: هَذا الرَّجلُ، الّذي طالَما ظَنَّهُ غريبَ الأَطوارِ، لَم يَكُنْ رَجلاً كبَقيَّةِ الرِّجالِ؛ إنَّهُ... الشَّيطانُ بعَينِهِ! أَجَلْ، هو إبليسٌ قَدِ اتَّخَذَ له شكلَ بَني البَشرِ للإقامةِ بَينَهُم!

أَفاقَ تَوفيقٌ مِن ذُهولِهِ وخَوفِهِ، فتَقدَّمَ ببُطءٍ مِن إبليسٍ الّذي كانَ يَنظرُ إِلَيهِ بفُضولٍ ليَرى ما سيَكونُ مِن أَمرِهِ. قالَ تَوفيقٌ:

ـ سَيِّدي، لقَدْ عَرَفْتُكَ، أنتَ سُلطانُ اللّيلِ والدَّياجيرِ، وعَرشُكَ عَرشُ النّارِ والسَّعيرِ، لا يُنازِعُكَ في جَبَروتِكَ مُنازِعٌ، يَهابُ سَطْوتَكَ الرَّفيعُ والوَضيعُ، تَحمِلُ في قَبضتَيكَ نارَ الدُّنيا وشَهواتِها قاطِبةً.

قالَ تَوفيقٌ هَذا وهُو يَرتعِشُ فَزَعاً؛ نَظَرَ إبليسٌ إِلَيهِ بخُبثٍ وفُضولٍ، ثُمَّ قالَ له:

الدَّياجيرُ: مفردُها الدَّيجورُ وهُو الظَّلامُ.
السَّعيرُ: لَهَبُ النّارِ.
الجَبروتُ أو الجَبْروتُ: صيغةُ مبالغةٍ تعني القوّةَ والسُّطةَ والعظَمة
الرَّفيعُ: العالي المَقامِ، نقيضُ الوضيعِ.

ـ الآنَ وقَدْ عرَفْتَ مَن أنا، وما مَدى سَطْوتي وسُلطاني، هَل لكَ أُمنيّةٌ أَو رَغبةٌ أُحقِّقُها لكَ؟

انفرَجَتْ أساريرُ توفيقٍ وقالَ مُتحمّساً:

ـ أَجَلْ يا سَيِّدي، أَجَلْ! لي رَغبةٌ واحدةٌ: أَتستطيعُ أَن تَجعَلَ مِنّي رَجلاً مِن ذَوي الثَّروةِ والجاهِ؟

أَطرقَ إبليسُ بُرهةً وجيزةً، ثُمّ نظَرَ إلى مُخاطِبِهِ وقالَ:

ـ أَجَلْ! إنَّ هَذا الأَمرَ سَهلٌ للغايةِ، ولَكنَّني لا أُحقّقُه لكَ إلّا إذا وَهَبْتَني روحَكَ!

ـ أَهَبُكَ روحي؟ وكيفَ هَذا؟

ـ ليسَ عليكَ سِوى أَن تُوقِّعَ الآنَ وَعداً بأَن تَمنَحَني روحَكَ بعدَ مَوتِكَ، ولَسَوفَ يَكونُ لكَ ما أَردْتَ في الحالِ...

أَخَذَ تَوفيقٌ يُفكِّرُ في عَرضِ إبليسٍ، وأَحلامُ الغِنى تُدغدِغُ آمالَهُ. وما لَبِثَ أَنِ اهتَدى إلى حَلٍّ مُرضٍ. قالَ:

ـ سَيِّدي، لماذا تَطلُبُ مِنّي روحي مُنذُ الآنَ؟ هَل

طَلبْتُ مِنكَ مرّةً ثَمَنَ أَحذِيَتِكَ قبلَ صُنعِها؟ حَتماً لا!

فأنا، إذاً، أَعِدُكَ بأنّني سأَهَبُكَ روحي إذا تحقَّقَتْ أمنيَّتي على النَّحوِ الّذي أُريدُ: اجعَلْني غَنيّاً عاليَ الشّأنِ، ذا بأسٍ ونُفوذٍ، وستَكونُ روحي بعدَئذٍ طَوْعَ **بنانِكَ**.

ابتسمَ إبليسُ وَقَدْ أُعجِبَ بِدَهاءِ صانعِ الأَحذِيَةِ وحُسنِ حيلتِهِ، وقَبِلَ باقتراحِ تَوفيقٍ. ثُمَّ صفَّقَ بيَدَيهِ، و**طَفِقَ** يُردِّدُ كَلماتٍ مُبهَمةً بصوتٍ خافِتٍ، **فادلَهَمَّ** جوُّ الغُرفةِ وتَصاعدَ مِن أَرضِها دُخانٌ أسودُ كثيفٌ، تَتَخلَّلُه بُروقُ الصَّواعقِ والنّيرانِ. وشعَرَ تَوفيقٌ أنَّهُ يَهوي مَغشيّاً عليهِ. وما لَبِثَ أَنِ استَفاقَ مِن غَيبوبةٍ قَصيرةٍ، فوجَدَ نفسَهُ جالساً إلى مائدةٍ عامرةٍ بما لَذَّ وطابَ مِنَ المأكَلِ والمَشرَبِ، في قاعةٍ فُرِشَتْ بأَثمنِ الرِّياشِ والأَثاثِ، والخدَمُ مِن حَولِهِ يَدخلونَ القاعةَ حاملينَ الأَطباقَ، فيَضعونَها أمامَهُ ورؤوسُهُم مُطأطَأةٌ

البأسُ: الشّجاعةُ والقوّةُ والشّدّةُ.

البنانُ: أطرافُ الأَصابِعِ. وطوعُ بنانِكَ: مطيعٌ لكَ تَصنعُ بي ما تشاءُ.

طَفِقَ: بدأَ، شرَعَ.

ادلَهَمَّ: اشتدَّ سوادُه.

احتراماً وطاعةً. ونظَرَ توفيقٌ إلى نفسِهِ فجَحَظَتْ عَيناهُ مِن شدّةِ العَجَبِ: كانَ يَرتدي ثياباً حريريّةً مُزركَشَةً، وُشِّيَتْ حواشيها بالخُيوطِ الذّهبيّةِ، أزرارُها مِنَ اللآلئِ الزّاهيةِ، يَبهَرُ بريقُها الأَبصارَ؛ وقَدْ أَثقَلَتْ أَصابعَ يدَيهِ خَواتمُ مُرصَّعةٌ بالماسِ الوَهّاجِ. وكانَ يَعتمِرُ «**طاقيّةً**» مِنَ الفروِ النّادرِ، وفي صَدرِها ياقوتةٌ كبيرةٌ ولا أَجملَ! ومَدَّ تَوفيقٌ يدَهُ إلى داخلِ سُتْرتِهِ يَتحسَّسُ فيها شيئاً ثقيلاً، فإذا في أَحدِ جُيوبِها حافظةُ نُقودٍ مِنَ الجِلدِ الأسودِ. فضَّها فتراقَصَتْ أمامَهُ أوراقٌ نَقديّةٌ كثيرةٌ عَمَدَ إلى عَدِّها، فإذا بها ثَروةٌ طائلةٌ! ونظَرَ، آخِرَ ما نظَرَ، إلى حِذائِهِ، فوجَدَهُ مِنَ النّوعِ الّذي لا يَنتَعِلُه سِوى الأَغنياءِ والأَشرافِ. فضَحِكَ عِندَئذٍ مُقهقِهاً، وقالَ في نفسِهِ: «يا لَلعَجَبِ! مُنذُ لَحظةٍ كُنتُ أَنتعِلُ حِذائي الباليَ وقَدْ بَرَزَتْ مِن خِلالِهِ أَصابعُ قدَميّ، وأَمّا الآنَ فهَذا الحِذاءُ وحدَهُ يُساوي ثَروةً!».

الطاقيّةُ: كلمةٌ عاميّةٌ تعني القُبّعةَ

أَكَلَ تَوفيقٌ وشَرِبَ حَتّى شَبِعَ وارتَوى، وصفَّقَ بعدَئذٍ بيَدَيهِ فامتَثَلَ أمامَهُ الخَدَمُ، وراحوا يَنقلونَ الأَطباقَ برَشاقةٍ وهدوءٍ. وقامَ يَجولُ في مَسكَنِهِ الجديدِ، فوجَدَهُ قصراً شاسعَ الأَرجاءِ يُشبِهُ قُصورَ الأُمراءِ والمُلوكِ!...

في المساءِ عادَ إبليسٌ فوجَدَ تَوفيقاً مُتَّكئاً على وِسادةٍ مِن ريشِ النَّعامِ، فوقَ **أَريكةٍ وثيرةٍ**، يُداعِبُ مالَهُ ويُقلِّبُ جَواهرَهُ وحِليَّهُ. سأَلَهُ إبليسٌ عَن حالِهِ فأجابَ:

ـ لا بأسَ، ولَكنَّني أُريدُ المَزيدَ مِنَ المالِ.

وبغَمضَةِ طَرْفٍ كانَ المالُ بينَ يدَيْ تَوفيقٍ أَضعافاً. وأَبصَرَ أمامَهُ صُندوقاً كبيراً مليئاً بالماسِ والذَّهبِ والفِضَّةِ والمُجَوْهَراتِ. قالَ إبليسٌ لتَوفيقٍ:

ـ لقَدْ وهَبْتُكَ ثَروةً لا تَحلُمُ بها، فلا تَعُدْ إلى طلَبِ المَزيدِ بعدَ اليومِ.

قالَ تَوفيقٌ:

ـ أُريدُ أَيضاً زَوجةً جميلةً! فزَوجتي، على رُغمِ

الأَريكةُ: السَّريرُ أَوِ المَقعدُ الفاخِرُ والمُزيَّنُ والمُريحُ.

الوثيرةُ: اللَّيِّنةُ الوطيئةُ.

طيبِ قَلبِها، قبيحةُ المَنظرِ، غَبيّةٌ، بَليدةٌ. أُريدُ زَوجةً ذكيّةً تَليقُ بالمَقامِ!

ضرَبَ إبليسٌ كَفّاً بكَفٍّ، فانفتَحَ البابُ، ودخَلَتْ مِنْهُ امرأةٌ رائعةُ الجَمالِ، فابتَسمَتْ لِتَوفيقٍ وانحنَتْ أمامَهُ وهِيَ تَقولُ:

ـ ها أنذا يا زَوجي العزيزَ، أُطيعُ أَوامرَكَ وأَقومُ على خِدمتِكَ.

قالَ إبليسٌ:

ـ سأَنصرِفُ الآنَ، وسأعودُ قريباً لأُذَكِّرَكَ بوَعدِكَ بعدَما بَرَرْتُ أنا بوَعدي.

في العِشاءِ جَلَسَ تَوفيقٌ وزَوجُه الجديدةُ يُقلِّبانِ الجَواهرَ والمالَ، حَتّى أَصابَهُما المَلَلُ، فنادى تَوفيقٌ أَحدَ الحُجّابِ يَسألُه عَن وسيلةٍ للسَّلوى، فأجابَهُ الحاجبُ مُبتسِماً:

ـ لَبّيكَ سَيِّدي! إنَّ في قَصرِكَ فِرقةً موسيقيّةً رائعةً تَعزِفُ أَجملَ الألحانِ، وراقصاتٍ رائعاتٍ رشيقاتٍ.

دخَلَ تَوفيقٌ وزَوجُه إلى قاعةِ القَصرِ، فإذا العازفونَ

البَليدةُ: ضِدُّ الذَّكيّةِ والفَطِنةِ، الغَبيّةُ المعتوهةُ.

قَدْ تَربَّعوا في صَدرِها يُمسِكُ كلٌّ مِنهُم آلتَهُ، وعيونُهُم عالقةٌ بسَيِّدِ الدّارِ يَرقُبونَ إشارتَهُ. ورفَعَ تَوفيقٌ يَدَهُ بِاتِّئادٍ، فانطَلَقَ الموسيقيّونَ يُداعِبونَ أوتارَ آلاتِهِم، فتَسلَّلَتْ نغَماتُهُم إلى النّفوسِ تُداعِبُها بنَشوةِ الطَّرَبِ الأَصيلِ. وانفتَحَ بابٌ جانبيٌّ فدخَلَتْ مِنهُ مجموعةٌ مِنَ الحِسانِ في ثيابٍ بيضاءَ يَتهادَيْنَ في مِشيَتِهِنَّ، ورُحْنَ يَرقُصْنَ على وَقْعِ الأنغامِ رقصاً فنّيّاً رائعاً. وتَمايلَ تَوفيقٌ **نَشوانَ**، وبَقيَ معَ زَوجِهِ على هَذهِ الحالِ حَتّى ملّا الإصغاءَ والنَّظَرَ، فنَهَضا وانصرَفا للنّومِ.

حَرَصَ تَوفيقٌ على الاحتفاظِ بالمالِ والجَواهِرِ على مَقرُبةٍ مِن سريرِهِ. وبعدَما أَلقى إلى ثَروتِهِ نِظرةً أخيرةً، لجأَ إلى فِراشِهِ **يَنشُدُ** فيه الرّاحةَ والسَّكينةَ. وراحَ يَتملمَلُ في سريرِهِ وقَدْ أَخذَ مِنْهُ النُّعاسُ كلَّ مأخَذٍ، ولَكنَّهُ معَ هَذا لَم يَجِدْ إلى الرُّقادِ سبيلاً، كانَتِ الهَواجِسُ والشُّكوكُ تُعكِّرُ مِزاجَهُ وتَعكِسُ في مُخيِّلتِهِ

النَّشوانُ: السَّكرانُ.

يَنشُدُ: يَطلُبُ.

صُوراً وفِكَراً رَهيبةً: ماذا لَوِ اقتحمَ اللُّصوصُ المَنزِلَ وسرَقوا الجَواهِرَ والمالَ؟ وهَبْ أَنَّ الخَدَمَ تآمَروا علَيهِ وعلى زَوجِهِ ليَستَولوا على مُحتَوياتِ القصرِ، فماذا يَحِلُّ بهِما؟

أَيقظَ تَوفيقٌ زَوجَهُ وقالَ لها:

ـ يا امرأةُ، أنا خائفٌ، خائفٌ مِن أَن يُصيبَنا مكروهٌ، قومي وأَحكِمي إقفالَ البابِ.

ـ ولَكِنَّ بابَ الغُرفةِ مُقفَلٌ! ما الّذي يُخيفُكَ؟ نَمْ، ليسَ هُنا ما يَدعو إلى القَلَقِ.

عادَتِ الزَّوجُ إلى نَومِها، وبَقِيَ تَوفيقٌ ساهِراً لا يَعرِفُ للنَّومِ مَذاقاً. وانبَلجَ الصَّباحُ وقَدْ تورَّمَ جَفناهُ مِنَ الأَرَقِ!

وأَخَذَتْهُ فَجأَةً رَغبةٌ في الخُروجِ إلى الشّارِعِ؛ فارتَدى ثِياباً دافئةً، وطَلَبَ إلى زَوجِهِ أَلّا تَبتعِدَ قَيدَ أُنمُلةٍ عَن مَوضِعِ المالِ. ثُمَّ خَرَجَ وراحَ يَذرَعُ الطُّرقاتِ

انبلجَ: أشرقَ وأَضاءَ.

الأُنمُلةُ: رأسُ الإصبعِ (جمعُها الأَنامِلُ)؛ وقَيدُ أُنمُلةٍ: قدْرُ طَرَفِ الإصبعِ.

ذَرَعَ المكانَ: مشى فيهِ وكأنَّهُ يَقيسُه بالذِّراعِ.

المُثلَجَةَ على غيرِ هُدىً، وهُو كئيبٌ قَد أَخَذَ فؤادُه **يَتـأَكَّلُ** نَدَماً: «ماذا فَعلْتَ يا تَوفيقُ؟ بِعتَ روحَكَ للشَّيطانِ مُقابِلَ جاهٍ **خُلَّبٍ** وثَروةٍ فانيةٍ! أَجَل، لقَدْ بِعتَ روحَكَ بِأَبخسِ الأَثمانِ! ماذا سيَكونُ مِن أَمرِكَ بعدَ اليومِ؟ غداً، حينَ تموتُ، **ستُصْلى** في الجَحيمِ، كما يُصلى الخَطَأَةُ، نارًا حاميةً!». وفكَّرَ تَوفيقٌ في أمسِهِ، حينَ كانَ صانعَ أَحذِيَةٍ، فتَمنّى لو أَنَّهُ لَم **يَعقِدِ** الشَّيطانَ على تِلكَ الاتِّفاقيّةِ الرّهيبةِ؛ تَمنّى لو يَعودُ للجِدِّ والكَدِّ، ويَنامُ مِلءَ جَفنَيهِ في كوخٍ يَضُمُّ زَوجَهُ اللّطيفةَ وأَولادَهُ الأَحبّاءَ. وتَخيَّلَ كيفَ كانَ يَسيرُ في الشّارعِ وقَدْ طابَ له العيشُ أَحياناً، يُغنّي مَرِحاً مُتناسِياً شقاءَهُ، لا يَأبَهُ لكَلامِ النّاسِ. ولَكنْ، ماذا يَمنعُه عَنِ الغناءِ الآنَ وهُو طائلُ الثّروةِ والجاهِ؟ هَل تَحولُ مَكانَتُه دونَ هَذا؟

عَقَدَ يَدَيهِ وراءَ ظَهرِهِ وشرَعَ يُغنّي بصَوتٍ خافتٍ.

تَأَكَّلَ: أَكلَ بعضُه بعضاً.

الخُلَّبُ: الخادِعُ.

صُلِيَ النّارَ أَو بِها: قاسى حرَّها ولهيبَها واحتَرَقَ بها.

عَقَدَ فُلاناً على الشّيءِ: عاهدَهُ.

وأَنساهُ الغناءُ بعضَ هُمومِهِ، فتَعالى صَوتُه بالإنشادِ حَتّى بدَأَ المارَّةُ يَنظرونَ إلَيهِ، وهُم يَهمِسونَ فيما بينَهُم:

ـ انظروا إلى هَذا الرَّجلِ الغريبِ! يُخالُ لناظِرِهِ أَنَّهُ مِنَ النُّبلاءِ، ولَكنَّهُ يُنشِدُ بوَقاحةٍ في وَسَطِ الشّارِعِ كما لَو كانَ صانعَ أَحذِيَةٍ حقيراً!

وفي مَوضعٍ آخَرَ مِنَ الشّارِعِ تَقَدَّمَ مِنهُ رَجلٌ مِن رجالِ الأَمنِ فخاطَبَهُ بلُطفٍ:

ـ سَيِّدي، إنَّ الأَشرافَ لا يُنشِدونَ هَكذا في الطّريقِ كما يَفعلُ **الرَّعاعُ**.

لعَنَ تَوفيقٌ الحياةَ والنّاسَ، وقفَلَ عائداً إلى قَصرِهِ، فأَمضى النّهارَ في الأَكلِ والشُّربِ مُحاوِلاً إغراقَ هُمومِهِ في مَلذّاتِ الطّعامِ والشّرابِ. وكانَ مِن حينٍ إلى آخَرَ يُمتِّعُ النّظَرَ بمالِهِ وجَواهِرِهِ، فيَزدادُ خَوفُه مِنَ اللّصوصِ والمُجرِمينَ.

تعاقَبَتِ الأَيّامُ، وتَوفيقٌ لا يَعرفُ للنّومِ والطُّمأنينةِ طَعماً، فنَحُلَ جسَدُه، و**سقِمَتْ** روحُه، حَتّى باتَ يَتَمَنّى

الرَّعاعُ: سَفَلةُ النّاسِ.

سَقِمتْ: مَرِضتْ.

الموتَ خلاصاً.

وفي إحدى اللّيالي جلَسَ تَوفيقٌ في سَريرِهِ يَنتحبُ ويَبكي. وإذا بإبليسٍ يَنتصِبُ أمامَهُ بعَينَيهِ السّاخرتَينِ وتَكشيرتِهِ الرَّهيبةِ، ويَقولُ:

ـ ماذا يا تَوفيقُ؟ أَراكَ حزيناً شقيّاً. أَلَمْ تَرُقْ لكَ هَذهِ الحياةُ الّتي تَمنَّيتَها لنفسِكَ؟

هَرَعَ تَوفيقٌ إلَيهِ، وجَثا أمامَهُ وهُو يَضرَعُ مُتوسِّلاً:

ـ سَيِّدي، أَرجو مِنكَ أَن تُخلِّصَني مِن هَذهِ الحالِ، أُريدُ أَن أَعودَ إلى زَوجي وأَولادي وأَحذِيَتي وفَقري وشَقائي! أَعتِقني مِن وَعدي، لقَدْ أَخطأتُ صَنيعاً. خُذِ الثَّروةَ والعِزَّ، فَقَدْ رَضيتُ بما كُنتُ أُعانيهِ مِنَ العَوَزِ والضِّيقِ.

قَهقَهَ إبليسٌ، وأَبعدَ المسكينَ عَنهُ بركلةٍ مِن حافِرِهِ، وراحَ يُعنِّفُه ويَشتُمُه، ثُمَّ قالَ له:

هَرَعَ: مَشى باضطرابٍ وسُرعةٍ.
أَعتِقني: حَرِّرني.
العَوَزُ: الفَقرُ وسوءُ الحالِ.

ـ تعالَ الآنَ ووَقِّعْ هَذا العَقدَ! لقَدْ آنَ لكَ أن تُنفِّذَ شَرطَ الاتِّفاقِ!

ذُعرَ توفيقٌ أيّما ذُعرٍ، وأَرادَ الفِرارَ؛ غيرَ أَنَّ إبليساً أَمسَكَ به وأَخَذَ يَهزُّهُ ويُعنِّفُه، والمِسكينُ يَنتحبُ تارةً ويُدافعُ عَن نفسِهِ دِفاعَ المُستميتِ تارةً أُخرى؛ واشتدّتْ وَطأَةُ العِراكِ بينَهُما، فانقَلَبا على الأَرضِ يَتدَحرَجانِ معاً. وصَدَمَ توفيقٌ ساقَ طاولةٍ مِنَ الرُّخامِ القاسي، فشعَرَ بألَمٍ شديدٍ يُصيبُ كَتفَهُ ويَتسرَّبُ إلى جَسدِهِ...

... فَتَحَ توفيقٌ عينَيهِ، فإذا به ما زالَ إلى طاولةِ عملِهِ، لَم يَبرَحِ الحانوتَ قَطُّ... وكانَتْ زَوجُه الوفيّةُ تَهُزُّ كَتفَهُ هَزّاً مُلِحّاً وتَقولُ له:

ـ تَوفيقُ، اصحُ يا تَوفيقُ، ماذا جَرى لكَ؟ انقَضى اللّيلُ وأنتَ ما زِلْتَ هُنا. انهَضْ، عليكَ أَن تَذهبَ إلى الزَّبونِ لتَسليمِ الحِذاءِ.

نَظَرَ تَوفيقٌ حَولَهُ، وفرَكَ عَينَيهِ، فوجَدَ نورَ النّهارِ

يَملأُ الحانوتَ، وشُعاعَ الشّمسِ المُحيِيَةِ يَبعثُ فيهِ دِفئاً جديداً. نهَضَ مِن مَكانِهِ وهُو **يَستعيذُ باللهِ** مِنَ الشّياطينِ وذِكرِ الشّياطينِ! لقَدْ نامَ مِن فَرطِ تعَبِهِ، فانقَضى الّليلُ وهُو في حُلمِهِ الرّهيبِ، حُلمٍ عاشَهُ وكأنّهُ مِن صَميمِ الواقعِ... وفكَّرَ قليلاً في مَراحِلِ مَنامِهِ كلِّها، فحَمِدَ اللهَ وشَكَرَهُ على نِعَمِهِ، طالباً إلَيهِ أن يُبقِيَهُ على حالِهِ، يَعمَلُ بجِدٍّ، ويَكسِبُ قوتَهُ وقوتَ عائلتِهِ بعرَقِ جَبينِهِ...

نَظَرَ تَوفيقٌ إلى حذاءِ زَبونِهِ، فإذا به مُجهَّزٌ، وقَدْ فرَغَ مِن صُنعِهِ خِلالَ عملِهِ الطّويلِ ليلاً.

حَمَلَ تَوفيقٌ الحِذاءَ تحتَ إبطِهِ كما فَعَلَ في مُستَهلِّ حُلمِهِ، وقصَدَ مَنزلَ الزَّبونِ؛ حَتّى إذا ما بلغَهُ أَدخَلَهُ أَحدُ الخَدَمِ، واستَمهَلَهُ رَيثما يَأتي سَيِّدُه فيتَسلَّمُ الحذاءَ بنفسِهِ.

وجاءَ الرَّجلُ فارتعشَ تَوفيقٌ لمَرآهُ، وشَحَبَ لَونُه! خَلَعَ الزَّبونُ حِذاءَهُ وعَينا تَوفيقٍ **تُحدِّقانِ إلى** قدَمَيهِ،

يَستعيذُ باللهِ: يلجأُ إلَيهِ ويَحتمي به.
حدّق إليهِ: حدَّدَ النّظرَ إلَيهِ.

ولَكنَّهُ وجَدَ أَنَّ قَدَمَي الرَّجلِ كانَتا كأَقدامِ النّاسِ قاطِبةً، فتَنَهَّدَ بارتياحٍ...

وقَبلَ أن يُغادِرَ تَوفيقٌ مَنزلَ رَبونِه، استَوقَفَ أَحدَ الخَدَمِ وسأَلَهُ:

ـ قُل لي يا أَخي، ما العملُ الّذي يَتعاطاهُ سَيِّدُكَ؟

نَظَرَ إِلَيهِ الخادمُ وأَجابَ مُتعجِّباً:

ـ أَلا تَعلَمُ أَنَّ سَيِّدي هُو أَشهَرُ صانِعي اللُّعَبِ والأَسهُمِ النّارِيّةِ في المَدينةِ؟

عندَئذٍ اتَّضَحَ كلُّ شيءٍ أمامَ تَوفيقٍ، فَهَزَّ رأسَهُ ضاحكاً: إنَّ زَبونَهُ الّذي كانَ يُعالِجُ النّارَ والدُّخانَ في الآنيةِ، على النَّحوِ الّذي شاهَدَهُ مَرَّتَينِ مُتَتاليَتَيْنِ، لَم يَكُنْ ساحراً، ولا هو إبليسٌ كما شاهَدَهُ في حُلمِهِ، بَل هو صانعُ لُعَبٍ ناريّةٍ، تُسلّي اختراعاتُهُ النّاسَ، كِباراً وصِغاراً.

خَرَجَ تَوفيقٌ إلى الشّارعِ مُغْتَبِطاً، يَتنشَّقُ الهواءَ

قاطبةً: جميعاً.

الآنيةُ: مفردُها الإناءُ وهُو الوعاءُ.

النّقيَّ الباردَ بملءِ رئتَيهِ؛ وسارَ في اتّجاهِ مَنزِلِهِ بخُطىً عريضةٍ، وهُو يُغنّي بأَعلى صَوتِهِ سعيداً، ويُمنّي النَّفْس بلِقاءٍ قريبٍ لزَوجِهِ وأَولادِهِ.

قصة

العِفريتُ

غادَرَ الصّديقانِ مَدينتَهُما في رِحلةٍ طويلةٍ سعياً وراءَ المُغامَراتِ، لا يَحملانِ مِنَ المَتاعِ غيرَ بعضِ المالِ لتَغطيةِ نَفقاتِ السّفَرِ. ومَرّتْ أيّامٌ وهُما في تَنقُّلٍ مُستمِرٍّ لا يَستقرّانِ في مَكانٍ، حتّى وَصلا ذاتَ مساءٍ إلى قَريةٍ صغيرةٍ آمنةٍ تَتربّعُ في بُقعةٍ مِن سهلٍ أخضرَ جميلٍ مُنبسِطٍ عِندَ أقدامِ جبَلٍ شامخٍ. وطابَ للصّديقَينِ المُقامُ في تِلكَ القَريةِ، فبَقِيا فيها فَترةً مِنَ الزّمانِ، ووَقَفا على **نَمطِ** حياةِ سُكّانِها وبعضِ عاداتِهِم. كانَ القَرَويّونَ مِنَ الفَلّاحينَ الأشِدّاءِ، يَحرِثونَ الأرضَ ويَزرعونَها ويَعيشونَ مِن غِلالِها حياةً شَريفةً قانعةً. ولَمْ يَكُنْ في

النّمطُ: الطّريقةُ والأُسلوبُ والنّوعُ

تِلكَ القَريةِ مِن **مَعالِمِ** الحضارةِ والرُّقيِّ غيرُ فُنْدُقٍ **وضيعٍ** فيهِ غُرَفٌ ثَلاثٌ. وكانَ لِلقَريةِ مَدرسةٌ تَضُمُّ عَدداً مِنَ التَّلاميذِ والتِّلميذاتِ مِن أبناءِ الفلّاحينَ وبَناتِهِم، تَقومُ في بناءٍ حديثٍ هو أَحدُ مَبنيَينِ مِنَ الحَجَرِ الأَبيضِ الجميلِ لا ثالثَ لهُما في القريةِ. وأمّا المَبنى الثّاني فكانَ مَنزلاً لرَجلٍ هو أكثرُ السُّكّانِ **يُسْراً** **وثَراءً**، يَعيشُ فيهِ مَع زَوجِهِ ووَلدِهِ الوحيدِ مَرزوقٍ. وكانَ لِلرَّجلِ في ذَلكَ السّهلِ الأَخضرِ حُقولٌ شاسعةٌ خَصْبةٌ. وأَمّا المُؤسّساتُ الحَيويّةُ الّتي نَجِدُها عادةً في المُدنِ والقُرى الكبيرةِ، كالبُنوكِ، ومَراكزِ البريدِ، ومَخافرِ الشُّرطةِ، والدّوائرِ الرّسميّةِ، والمَحالِّ الكبيرةِ، ودورِ اللَّهوِ، وغَيرِها، فلَمْ يَكُنْ لها وُجودٌ في تِلكَ القَريةِ المُتخلِّفةِ الّتي بَقيَتْ مُحافِظةً على حياتِها البِدائيّةِ.

المعالِمُ: المظاهرُ والدِّلالاتُ.

وضيعٌ: مُتواضِعٌ.

اليُسرُ: خِلافُ العُسرِ، سهولةُ العيشِ.

الثَّراءُ: الغِنى.

كانَ المُغامِرانِ الشّابّانِ يَجوبانِ طُرُقاتِ القَريةِ الضَّيِّقةَ على غيرِ هُدىً، فوَصَلا على مَقرُبةٍ مِن بيتِ أَبي مَرروقٍ، وخطَرَتْ لأَحدِهما فِكرةٌ طريفةٌ...

كانَ اسمُ أَحدِهِما سَعيداً، وهُو شابٌّ فارِعُ الطّولِ، نَحيلُ العودِ، ذو جَبهةٍ عريضةٍ عاليةٍ، شَعرُه أَسودُ فاحِمٌ، في وَجهِهِ الأَسمرِ ذي **القَسَماتِ** القاسيةِ عَينانِ **تتّقِدانِ** فِطنةً وذَكاءً. وأَمّا رَفيقُه نَبيهٌ فقَدْ كانَ نَقيضاً له مِن حَيثُ الشَّكلُ والصِّفاتُ: فهُو قصيرُ القامةِ، بَدينٌ، ذو رأسٍ مُستديرٍ ضَخمٍ، وشَعرٍ كثيفٍ يُغطّي نِصفَ جَبينِه. عَيناهُ جُحْرانِ غائرانِ يَعلوهُما حاجِبانِ **كَثّانِ** مُتَّصلانِ. قدَماهُ غَليظتانِ قَصيرتانِ، فإذا ما مَشى حَسِبْتَهُ دُبّاً سَميناً تَهتزُّ الأَرضُ مِن تَحتِهِ. وكانَ تَعلُّقُ نَبيهٍ بصَديقِهِ سَعيدٍ كتَعلُّقِ الطِّفلِ **بأَهدابِ** أُمِّهِ: فهُو لا يَبذُلُ مَجهوداً عَقليّاً إلّا كانَ تافِهاً، ولا يَأتي بادرةً إلّا جاءَتْ مُضحِكةً ساذَجةً.

القَسَماتُ: الملامحُ.

تتّقِدانِ: تَشتَعِلانِ.

كَثّانِ: كثيفانِ.

أهدابُ الثّوبِ: أطرافُه.

وقَدْ كانَ، على خلافِ رَفيقِهِ الجَريءِ القَويِّ، ضعيفَ الشَّخصيّةِ، سريعَ الخوفِ، تَرتعِدُ **فريصتُه** بسُهولةٍ.

وأَعودُ الآنَ بالقارئِ إلى حَيثُ ذكَرْتُ أنَّ فِكرةً طَريفةً قَد خطَرَتْ ببالِ أَحدِ الرَّفيقَينِ خِلالَ تَجوالِهما في القَريةِ. ولا إخالُكَ تَجهلُ الآنَ أَنَّ خَيالَ سَعيدٍ هو الّذي تَفتَّقَ عَن تِلكَ الفِكرةِ، ولَيسَ عَقلَ نَبيهٍ الّذي لَم يَهَبْهُ اللّهُ مِنَ النَّباهةِ غيرَ اسمِهِ!...

تَوقَّفَ سَعيدٌ فَجأةً، وسَرَّحَ بَصَرَهُ إلى الأُفقِ يُمعِنُ في التّفكيرِ. فنظَرَ إليهِ نَبيهٌ مُتعجِّباً وقالَ:

ـ ما لكَ يا سَعيدٌ؟ لماذا تَوقَّفْتَ هَكذا؟

أجابَ سَعيدٌ وهُوَ يَبتسِمُ راضياً:

ـ لقَدْ وَجَدْتُ وسيلةً لكَسبِ بعضِ المالِ، هَهُنا، في هَذهِ القَريةِ بالذّاتِ!

سأَلَهُ نَبيهٌ وقَدْ زادَ تَعجُّبُه:

ـ ماذا تَقولُ؟ مالٌ في هَذهِ القَريةِ؟ وأينَ تَجدُ المالَ؟ معَ الفَلّاحينَ؟ أَم تُراكَ عَثَرْتَ على خَريطةِ كَنزٍ مدفونٍ فيها!...

الفَريصةُ: لَحمةٌ بينَ الجَنبِ والكَتِفِ تَرتجِفُ عِندَ الخوفِ.

وضَحِكَ نبيهٌ فَخوراً بما قالَهُ، وهُو مُقتنعٌ بأَنَّ مُلاحَظَتَهُ جاءَتْ على جانبٍ كبيرٍ مِن الظَّرْفِ والدَّهاءِ.

لَم يَأبَهْ سَعيدٌ لِاعتراضِ نَبيهٍ، بَلِ استَطرَدَ قائلاً:

ـ أجَلْ، لقَدْ وجَدْتُها... هي وسيلةٌ مأمونةٌ، نتائجُها مضمونةٌ: إنَّها عمليّةُ اختطافٍ!...

وفغَرَ نَبيهٌ فاهُ، وقالَ مُتلَعْثماً وقَدْ عَقَدَتِ الدَّهشةُ لِسانَهُ:

ـ اخـ... اخـ... اختطافٌ؟ اختطافُ ماذا، ومَنْ، وكيفَ، وأينَ؟ هَل جُنِنْتَ يا سَعيدُ؟

ضَحِكَ سَعيدٌ مِنِ اضطِرابِ صَديقِهِ، وأَردفَ يَقولُ:

ـ تَرى هَذا البيتَ؟ إنَّهُ مُلكٌ لأَغنى رَجلٍ في هَذهِ القَريةِ، وهُو أبٌ لوَلدٍ وحيدٍ. ولسَوفَ نَقومُ باختطافِ ابنِهِ، ثُمَّ نُعيدُه إلَيهِ مُقابِلَ فِديةٍ كبيرةٍ.

في بادئ الأَمرِ ارتاعَ نَبيهٌ مِن هَذهِ الفِكرةِ الجريئةِ.

فغَرَ فاهُ: فَتَحَ فَمَهُ.

ولَكنَّهُ ما لَبِثَ أَنْ رَضيَ بها بَعدَما شرَحَ له رَفيقُه أَنَّ تنفيذَ الخِطّةِ سهلٌ وخالٍ مِنَ **المُجازَفةِ**، وأَنَّ الأَمرَ سيُقضى في مُهلةٍ وَجيزةٍ يُعادُ الصَّبيُّ بَعدَها إلى ذَويهِ سالماً.

مكَثَ الصّديقانِ في فُندُقِ القَريةِ يتحيَّنانِ فُرصةً سانحةً لتَنفيذِ مُخطَّطِهِما. فلاحَظا أَنَّ الصَّبيَّ الّذي اعتَزَما خَطفَهُ، واسمُه مَرزوقٌ كما مَرَّ بنا، كانَ يَعودُ مِنَ المَدرسةِ في المساءِ، فيَخرجُ إلى الطّريقِ قُربَ مَنزلِهِ ليَلعبَ قليلاً، ثُمَّ يَرجِعُ إلى البيتِ قُبيلَ غيابِ الشّمسِ.

وذاتَ مساءٍ كانَ الصَّديقانِ المُغامِرانِ **مُتربِّصَينِ** قُربَ بيتِ أبي مَرزوقٍ، فشاهَدا الصَّبيَّ يَخرجُ إلى الطَّريقِ على عادتِهِ: يَداهُ في جَيبِهِ، وهُو يَركُلُ الحَصى بقدَمَيه تارةً، أَو يَلتقِطُ تارةً أُخرى حَصاةً يَرمي بها كلباً هَرِماً مُستلقِياً أمامَ **حَظيرةٍ** بجانبِ المَنزلِ.

نظَرَ سَعيدٌ يميناً وشِمالاً فلَمْ يَرَ أَحداً، فرَبَّتَ كَتِفَ

المُجازفةُ: المُخاطرةُ.

مُتربِّصين: مُنتظِرين.

الحظيرةُ: مربِضُ الماشيةِ ومأواها.

نَبيهٍ وقالَ هامِساً:

ـ هَيّا بِنا الآنَ...

مَشى نَبيهٌ إلى جانبِ صَديقِهِ وقَدْ أَخَذَتْهُ الرِّعشةُ، وبَدَأَ الخوفُ يَتسرَّبُ إلى قَلبِهِ؛ وما إن وَصلا إلى الصَّبيِّ حَتّى بادرَهُ سَعيدٌ بقَولِهِ:

ـ مساءُ الخيرِ يا عزيزي، ما اسمُكَ؟

رمَقَهُ مَرزوقٌ بِنظرةٍ خبيثةٍ، ثُمَّ حوَّلَ بَصرَهُ إلى نَبيهٍ وضَحِكَ. أجابَ:

ـ اسمي مَرزوقٌ، وما اسمُكَ أنتَ؟ وما اسمُ هذا الدُّبِّ الّذي يُرافِقُكَ؟

كانَ مَرزوقٌ، وهُو صَبيٌّ في التّاسعةِ مِن عُمرِهِ تقريباً، مِثالاً للوَلدِ **العابثِ** الطّائشِ. وقَدْ كانَ، إلى ذَلكَ، على جانبٍ كبيرٍ مِنَ النَّباهةِ والحيَويّةِ والنَّشاطِ انعَكسَ بعضُها في شَكلِهِ: شَعرُه أَحمرُ، وعَيناهُ زَرقاوانِ، ووَجهُه غَزاهُ النَّمَشُ، وأَنفُه يَتحرّكُ صُعوداً ونُزولاً بصورةٍ عَصَبيّةٍ، فيَخالُ مَن يَنظرُ إلَيهِ لأوَّلِ وَهلةٍ

العابثُ: اللّاهي، الهازلُ.

أَنَّ الوَلَدَ يُحرِّكُ أَنفَهُ سُخرِيّةً واستِهتاراً!

لَم يَتمالَكْ نَبيهٌ عِندَما سَمعَ كلامَ الصَّبيِّ، وهَمَّ بأنْ يَنقضَّ علَيهِ ليَصفعَهُ أَو ليَشُدَّ أُذنَيهِ؛ ولَكنَّ مَرزوقاً التقطَ حجَراً بحَجمِ قَبضةِ يدِهِ ولَوَّحَ به مُهدِّداً. فتَسمَّرَ نَبيهٌ في مَكانِهِ، وراحَ يَنظرُ إلى صَديقِهِ مُستنجِداً. وهدَّأَ سَعيدٌ مِن رَوعِ صَديقِهِ، وقالَ لِمَرزوقٍ مُراوِغاً:

ـ قُل لي يا مَرزوقُ، ما رأيُكَ في كيسٍ مِنَ الحَلوى، وفي نُزهةٍ نَقومُ بها معاً؟ إنّي أَراكَ قَد مَلِلْتَ التَّنزُّهَ في هَذا الطَّريقِ الضَّيِّقِ، أَوَلَيسَ هَكذا؟

أَجابَ مَرزوقٌ وقَدْ راقَهُ لُطفُ سَعيدٍ وحَلاوةُ حديثِهِ:

ـ أَجَلْ، بكلِّ سرورٍ، لقَدْ مَلِلْتُ فِعلاً البقاءَ في هَذا المَكانِ. هَيّا بنا، دَعْنا نَقُمْ بنُزهةٍ طويلةٍ مُمتِعةٍ.

ونَظَرَ مَرزوقٌ إلى نَبيهٍ ثانيةً، ومَدَّ له لِسانَهُ وهُو يُلوِّحُ بيَدَيهِ بصورةٍ مُضحِكةٍ. ثُمَّ تَحوَّلَ شَطْرَ سَعيدٍ وسارَ إلى جانِبِهِ مُحتمِياً به. وحَثَّ سَعيدٌ خُطاهُ وهُو يُلقي في كلِّ

مُراوِغاً: طالباً بمَكرٍ وخُبثٍ.

شَطْرَ سعيدٍ: ناحيةَ سَعيدٍ، نَحوَ سعيدٍ.

اتّجاهِ نِظْراتِ الحِرصِ والِاستطلاعِ. وأمّا نَبيهٌ فقَدْ راحَ يَنظرُ إلى الصَّبيِّ شَزْراً وَهُو يُهمهِمُ مُمتعِضاً، وقَدْ ساءَهُ ما بَدَرَ عَنهُ مِن تَصرُّفٍ مُهينٍ ساخرٍ.

حين فكَّرَ سَعيدٌ في خَطفِ الصَّبيِّ قامَ بجَولةٍ في أَرجاءِ السَّهلِ باحثاً عَن مَلجأٍ أَمينٍ يَركُنُ إليهِ معَ صَديقِهِ بعدَ مُغادَرةِ القَريةِ، فاهتَدى في الجبَلِ إلى كَهفٍ صغيرٍ تَحُفُّ بمَدخلِهِ شُجَيراتٌ غَضَّةٌ ونباتٌ كثيفٌ تَحجُبُه عَنِ الأَنظارِ، فأَدركَ أَنَّهُ المَخبأُ المَنشودُ. وعادَ بعدَئذٍ إلى القَريةِ، فابتاعَ بعضَ المأكولاتِ المُعلَّبةِ وحمَلَها في كيسٍ إلى الكَهفِ، إعداداً لعَمليّةِ الخطفِ المقرّرةِ.

راحَ الثّلاثةُ يَتسلَّقونَ الجبَلَ في أوّلِ اللّيلِ. وسُرعانَ ما تَندّى جبينُ نَبيهٍ بالعَرَقِ، وتَكاثَرَ لُهاثُه، وراحَ يَتعثّرُ بخُطاهُ؛ ومَرزوقٌ يَهزأُ به، وهُو سَعيدٌ لِقيامِهِ بهَذهِ

شَزْراً: بطرفِ عينِهِ مع الغضبِ.
يُهمْهِمُ: يتكلّمُ كلاماً خفيّاً غيرَ مفهومٍ.
مُمتعِضاً: غاضِباً ومُنزعِجاً.
تَحُفُّ: تُحيطُ.
غَضّةٌ: نضِرةٌ.

الرِّحلةِ الَّتي لَم يَحلُمْ بِمثلِها.

وصَلَ الثّلاثةُ إلى الكَهفِ بعدَ مَسيرةٍ شاقَّةٍ استَغرقَتْ ساعتَينِ كاملتَينِ. فدَخلوا إلى المَخبأ، وأضاءَ سَعيدٌ شمعةً وضَعَها فوقَ صخرةٍ، فيما استَلقى نَبيهٌ على ظَهرِهِ بعدَما أَرهقَهُ السَّيرُ وقصَمَ ظَهرَهُ. وأَجالَ مَرزوقٌ بصَرَهُ في هَذا المَكانِ الطَّبيعيِّ المُدهِشِ، ثُمَّ قالَ للصَّديقَينِ بصوتٍ يَرتعِشُ تأثُّراً:

ـ لقَدْ كانَتْ نُزهتُنا جميلةً للغايةِ. ولَكنْ أُريدُ أَنْ أَلعبَ قليلاً. تعالَ أيُّها الدُّبُّ، تعالَ نَتعَبْ مَعاً!!

رفَعَ نَبيهٌ رأسَهُ وهُو ما زال مُنبطِحاً على الأَرضِ، وصاحَ في وجهِ الصَّبيِّ:

ـ أنا لَستُ دُبّاً، أنا اسْمي نَبيهٌ! ن... ب... ي... ه!

وقالَ الصَّبيُّ بخُبثٍ:

ـ أَجَلْ، أجَلْ، أنتَ لَستَ دُبّاً... تعالَ إذاً نَلْعبْ أيُّها الغَزالُ...

قصَمَ: كسَرَ.



وتَدخَّلَ سَعيدٌ **لِيَتدارَكَ الأَمرَ** قبلَ **تَفاقُمِهِ**، فقالَ بِلُطفٍ:

ـ دَعْكَ الآنَ مِنَ اللَّعِبِ يا مَرزوقُ، تعالَ نَتناوَلْ بعضَ الطّعامِ، وسيَكونُ لكَ بعدَئذٍ ما تُريدُ.

وقَبِلَ مَرزوقٌ دَعوةَ سَعيدٍ، فجلَسَ الثّلاثةُ أرضاً يأكلونَ مُحتوياتِ بعضِ العُلَبِ الّتي كانَ سَعيدٌ قَدِ اشتَراها. ولَمْ يَكُنْ مَرزوقٌ **يَعِفُّ** لَحظةً عَن نَبيهٍ البَدينِ، بَل كانَ **يُقَرِّعُه** ويَسخَرُ مِنهُ كُلَّما سَنَحَتْ له سانحةٌ. نظَرَ إلَيهِ يأكُلُ، فقالَ له بقَرَفٍ:

ـ ما لَكَ تأكلُ هَكذا يا أخي وكأنَّكَ لَم تَذُقْ طعاماً مُنذُ سنةٍ؟ ألا تَرى كيفَ أنَّ كَرِشَكَ قَدِ انتَفَخَتْ؟ يا لكَ مِن غولٍ!

امتُقِعَ وجهُ نَبيهٍ، وتَملْمَلَ في جِلستِهِ، وعادَ سَعيدٌ يُهدِّئُ مِن رَوعِهِ، فانقضَتْ وَجبةُ الطّعامِ بِسلامٍ. وبدأَ

تدارك الأمر استبَق حصولَهُ وأصلحَ شأنَهُ.

تفاقمَ الأمرُ عظُمَ ولَم يَجرِ بصورةٍ سَويّةٍ وصحيحةٍ.

يَعفُّ: يكُفُّ ويمتنعُ.

يُقرّعُه يؤنّبُه ويُعنّفُه.

النُّعاسُ يُداعِبُ أجفانَهُم، فخافَ سَعيدٌ أَن تأخذَ الصَّبيَّ رَغبةٌ في العَودةِ إلى ذَويهِ، فراحَ يُفكِّرُ في وسيلةٍ تُبقيهِ برِفقَتِهما مِن غيرِ أَن يَشعُرَ بما يُضمرانِهِ له. بَيدَ أَنَّ مَرزوقاً كانَ راضياً بحالِهِ، يَرتعِشُ شوقاً إلى اللَّعبِ والاِستكشافِ، فلَمْ يأتِ طَوالَ هَذهِ الفَترةِ على ذِكرِ والدَيه، ولَمْ يُبدِ أيَّ رَغبةٍ في العَودةِ إلى المَنزلِ. ولَمّا سألَهُ سَعيدٌ ملاطِفاً هَل يُمانعُ في قضاءِ اللَّيلِ بِرفقَتِهِ وبرِفقةِ نَبيهٍ، أجابَ مِن غيرِ تَردُّدٍ:

ـ سأَبقى ما شِئتُما، شَرطَ أَن نَلعبَ كثيراً.

ثُمَّ أطفأَ سَعيدٌ الشَّمعةَ فغمَرَتِ الكَهفَ ظُلمةٌ حالكةٌ. وأَركَنَ كلٌّ مِنَ الثّلاثةِ **إلى زاويةٍ** يَنشُدُ فيها الرّاحةَ. وخُيِّلَ للصَّديقَينِ أَنَّ الصَّبيَّ قَد نامَ، فاطمأَنَّ سَعيدٌ، وقَرَّتْ عينُ نَبيهٍ **فأَخلَدَ إلى** الرّاحةِ والأَحلامِ.

لَم تَمضِ دقائقُ قليلةٌ على هَذهِ الحالِ حَتّى مَزّقَ سُكونَ الكَهفِ صوتٌ مُروِّعٌ كأنَّهُ صوتُ حيَوانٍ

أَركَنَ إلى زاويةٍ: اختارَها مُعتبِراً إيّاها آمنةً.
أَخلَدَ إلى: مالَ ورَكَنَ ولَجأَ.

جريحٍ. فهَبَّ سَعيدٌ يَستطلِعُ الخَبَرَ، وقَدِ استبَدَّ به القَلَقُ، فأَشعلَ الشّمعةَ، ورأى... ماذا رأى؟؟

كانَ مَرزوقٌ جاثِماً فوقَ صَدرِ نَبيهٍ يَنهالُ علَيهِ ضرباً بكِلْتا يَدَيهِ، بينَما راحَ المِسكينُ يُدافِعُ عَن نَفسِهِ ويُحاوِلُ اتّقاءَ الضَّرَباتِ.

وهُرِعَ سَعيدٌ يُبعدُ الصَّبيَّ الشَّقيَّ عَن صَديقِهِ، ويَنظرُ في أَمرِ نَبيهٍ، فإذا به شاحِبُ اللّونِ، وعَيناهُ جاحظَتانِ تَعكِسانِ الهَولَ الّذي أَصابَهُ.

نظَرَ سَعيدٌ إلى مَرزوقٍ غاضِباً، وقالَ له وهُو يُلوِّحُ بسَبّابتِهِ مُهدِّداً:

ـ اسمعْ يا مَرزوقُ! لقَدْ جاوَزْتَ حُدودَ المعقولِ، وإنَّكَ لتَستحِقُّ درساً في التَّهذيبِ لَن تَنساهُ. لماذا فَعلْتَ هذا؟

تصنَّعَ مَرزوقٌ الخوفَ. وطَفِقَ يَفرُكُ عَينَيهِ بقَبضَتَيهِ كأنَّهُ يَبكي، وقالَ بصوتٍ مُتكسِّرِ النَّبَراتِ:

هُرِعَ: أُعجِلَ على الإسراعِ.
تصنَّعَ: أظهرَ عن نفسِهِ ما ليسَ فيهِ.

ـ عَمّي سَعيداً، لَقَدْ خُيِّلَ لي أَنَّ هَذا الدُّبَّ كانَ يُريدُ بي سوءاً، فهُو لَمْ يَكُفَّ عَنِ الهَمهَمةِ مُنذُ أطفأْتَ الشّمعةَ. ولِذا قُمتُ للدِّفاعِ عَن نَفسي قَبلَ فَواتِ الأَوانِ.

نظَرَ سَعيدٌ إلى الصَّبيِّ وقَدْ أَدهشَهُ **بطَواعيةِ** لِسانِهِ، وكادَ أَن يَنفجِرَ ضاحكاً لولا حَرَجُ المَوقِفِ. ولَكنَّهُ بَقيَ مُقطِّبَ الحاجبَينِ، وعادَ إلى مَرزوقٍ يؤنِّبُه ويَعِظُه:

ـ لقَدْ أَخطأْتَ يا مَرزوقُ. إنَّ ما سَمعْتَهُ لَم يَكُنْ هَمهَمةً، بل شخيرُ صَديقي، وهُو لا يُريدُ بكَ أَذىً. قُمِ الآنَ واعتذِرْ إلى عَمِّكَ نَبيهٍ قبلَ أَن تَعودَ إلى النّومِ.

شالَ الصَّبيُّ بكَتفَيهِ، وسارَ نحوَ نَبيهٍ مُكرَهاً ويَداهُ وراءَ ظَهرِهِ. وما إنِ استقرَّ على قَيدِ خُطوةٍ مِنهُ حَتّى قالَ له بنَبرةٍ قاسيةٍ:

ـ سامِحْني يا عَمّي نبيهاً...

لَم يُجِبْ نَبيهٌ لفَرطِ اغتياظِهِ، بَل رَمَقَ الصَّبيَّ بِطَرةٍ

الطَّواعيةُ: الطّاعةُ.

شالَ الشَّيْءَ وبالشَّيْءِ: رفَعَ.

عِتابٍ وحِقدٍ. فما كانَ مِنَ العِفريتِ إلّا أن رَكَلَهُ خُلسةً على أحدِ عَقِبَيهِ، فرفَعَ نَبيهٌ قَدَمَهُ المُصابَةَ وراحَ يَقفِزُ على الأُخرى وهُو يَتلوّى ألماً. ولَمْ يَترُكْ مَرزوقٌ لِسَعيدٍ مَجالاً للتَّدخُّلِ، فبادَرَهُ بقَولِهِ:

ـ هَل رأيْتَ هَذا يا عَمّي سَعيداً؟ طَلَبْتُ إلَيهِ أن يُسامحَني فَلَمْ يَقُلْ كَلمةً واحدةً!

قالَ نَبيهٌ لصَديقِهِ بلَهجةٍ مُتوسِّلةٍ:

ـ سَعيدٌ! إنَّ هَذا الصَّبيَّ هو إبليسٌ بعَينِهِ، وقَدْ ضِقْتُ ذَرْعاً بهَذهِ الحالِ.

اقترَبَ سَعيدٌ من صَديقِهِ وهَمَسَ في أُذنِهِ:

ـ صَبراً يا نَبيهُ، صَبراً... إنَّها قَضيّةُ ساعاتٍ، نُنفِّذُ بَعدَها مُخطَّطَنا. فكِّرْ في الرِّبحِ الّذي سَنَجنيهِ...

وعادَ الثّلاثةُ كلٌّ إلى زاويتِهِ، وعادَ الظّلامُ يُخيِّمُ على الكهفِ. وانقَضى اللّيلُ صافياً، بَيْدَ أنَّ نَبيهاً لَم يَذُقْ للرُّقادِ طَعماً!

العَقِبُ: مؤخَّرُ القَدَمِ.

في الصّباحِ الباكرِ خَرَجَ سَعيدٌ إلى العَراءِ، فنظَرَ حولَهُ، ثُمَّ رَمى ببَصَرِهِ إلى البَعيدِ يُمعِنُ الانتباهَ و**يُصيخُ**، فلَمْ يُلاحِظْ شيئاً **مُريباً**. وكانَ السَّهلُ عِندَ أقدامِ الجَبَلِ هادئاً، ولَيسَ فيهِ ما يُشيرُ إلى حالةِ اضطرابٍ أو نشاطٍ مُريبٍ في القَريةِ. ففكَّرَ سَعيدٌ في أنَّ أهلَ القَريةِ سيَخرُجونَ للبَحثِ عَنِ الصَّبيِّ بعدَ بُزوغِ الشَّمسِ. عادَ إلى الكهفِ وقالَ لِنَبيهٍ:

ـ اقعُدْ. سنَكتُبُ الآنَ رسالةً إلى والدِ الصَّبيِّ أوصِلُها إلى القَريةِ.

جلَسَ سَعيدٌ على الأَرضِ واتَّكأَ على حَجَرٍ، ثُمَّ راحَ يُحرِّرُ رسالةً هَذا نَصُّها:

«سَيِّدي،

«نحنُ شابّانِ يائسانِ بحاجةٍ إلى مبلَغٍ مِنَ المالِ. اختَطَفْنا ابنَكَ مَرزوقاً يومَ أَمسِ، وهُوَ الآنَ بصُحبَتِنا في مَكانٍ لا يُمكِنُكَ الاهتداءُ إلَيهِ. إنّنا على استعدادٍ

يُصيخُ: يُصغي ويَستمعُ.

المُريبُ: الّذي يُثيرُ الرِّيبةَ والشَّكَّ.

لإعادتِهِ إذا قَبِلْتَ العملَ بالشُّروطِ التّاليةِ:

«في تَمامِ الحاديةَ عَشْرةَ مِن مساءِ هَذا اليومِ، علَيكَ أَن تَدفَعَ خَمسةَ آلافِ ليرةٍ، تُرسِلُها في ظَرفٍ مَختومٍ، معَ شخصٍ يَضعُها إلى جِذعِ شجَرةِ السّنديانِ الكبيرةِ عِندَ مَدخلِ القَريةِ الجَنوبيِّ. وسنُعيدُ لكَ ابنَكَ سالماً بعدَ الحُصولِ على المالِ. ونَصيحتُنا إلَيكَ ألّا تَأتيَ أيَّ مُحاوَلةٍ لمُخادَعتِنا أَو للإيقاعِ بنا، لأنَّنا اتَّخَذْنا الاحتياطاتِ لتَنفيذِ رَغبتِنا بنَجاحٍ. نَأمَلُ أَن تَمتثِلَ لهَذهِ الإرشاداتِ إذا كُنتَ تُريدُ مشاهَدةَ ولَدِكَ ثانيةً، وإلّا اضطُرِرْنا إلى الانتقامِ مِنهُ.

الإمضاءُ: شابّانِ يائسانِ»

قالَ نَبيهٌ وهُو يُداعِبُ ذَقنَهُ:

ـ ألا تَظُنُّ أَنَّ الثَّمَنَ غالٍ بالنّسبةِ إلى وَلَدٍ شِرّيرٍ كَهذا؟ فهُو في نَظَري لا يُساوي عُشْرَ هَذا الثَّمَنِ!...

في هَذهِ الأَثناءِ كانَ مَرزوقٌ يَلهو في جِوارِ الكَهفِ، يَركُضُ، يَقفُ، يَصيحُ، وقَدْ شَكَلَ في شَعرِهِ بعضَ

الأَغصانِ؛ أَو يَنبطِحُ أرضاً، ويَزحَفُ ويَتأهَّبُ، ثُمَّ يَنْقضُّ كأنَّهُ يُهاجِمُ عَدوّاً غيرَ منظورٍ؛ وباتَ نَبيهٌ يُراقِبُه وهُو **يَتوجَّسُ** في أَمرِهِ شرّاً، لأنَّ سَعيداً كانَ على وَشْكِ الِانصرافِ، وسيَبقى هو وحدَهُ برِفقةِ هَذا المخلوقِ الطّائشِ الرّهيبِ، لا حَوْلَ له ولا قُوّةَ!

نهَضَ سَعيدٌ فطَوى الكتابَ ودَسَّهُ في جَيبِهِ، ووعَدَ صَديقَهُ بالعَودةِ حالَما يُتِمُّ تسليمَ الرّسالةِ إلى والدِ مَرزوقٍ.

كانَتْ فَرحةُ مَرزوقٍ عظيمةً عندَما عَلِمَ بأَنَّ سَعيداً قَد نَزَلَ إلى القَريةِ لقضاءِ حاجةٍ ضَروريّةٍ، في حينِ بَقيَ هو في الجَبلِ مع نَبيهٍ على انفِرادٍ! أَسرعَ يَرقُصُ ويَدورُ حولَ نَبيهٍ، والمِسكينُ يَدورُ حولَ نفسِهِ كَي لا يَغيبَ الصَّبيُّ عَن ناظِرِهِ. قالَ مَرزوقٌ وهُو **يَحدُجُه** بنِظرةٍ خبيثةٍ:

ـ سنَلهو الآنَ ونَلعبُ، أَلَيسَ هَكَذا يا عَمّي نَبيهاً؟

يَتوجَّسُ: يُحِسُّ.
يَحدُجُه: يرميه، يُحدِّقُ إليه.

ـ أجَلْ، أجَلْ، هَيّا بِنا، ما اللُّعبةُ الّتي اختَرْتَها؟

ـ لُعبةُ الفارسِ الشُّجاعِ الّذي ذهَبَ ليَقتُلَ الغولَ الشِّرّيرةَ في مغارةٍ جَبليّةٍ.

ـ لا بأسَ، وكيفَ هَذا؟

ـ هُنالِكَ مَغارَةٌ تَبعُدُ مئتَيْ مِترٍ تَقريباً عَن هَذا المَكانِ. فسَنَفترِضُ أَنَّ الغولَ تَسكُنُ فيها، وسأَقومُ أنا بدَورِ الفارسِ الشُّجاعِ، وأمّا أنتَ... فستَلعبُ دورَ الحصانِ الّذي سيَحمِلُني إلى المغارةِ لمُقاتَلةِ الغولِ...

ـ لا تَكُنْ قليلَ التّهذيبِ يا مَرزوقُ. أنا في مِثلِ سِنِّ أَبيكَ، فكيفَ أَرضى بأَن أَكونَ حصاناً تَمتطيهِ؟ وهَبْ أَنّي قَبِلْتُ، فهَل تَظُنُّني قادراً على حَمِلِكَ مَسافةَ مئتَيْ مِترٍ وأنا أَدِبُّ على يَدَيَّ ورُكبتَيَّ؟ لا، لا، هاتِ لُعبةً أَسهلَ مِن هَذهِ.

استَشاطَ مَرزوقٌ غضَباً، ولبَطَ الأَرضَ بقدَمَيهِ، وضرَبَ الهواءَ بذِراعَيهِ، وهُو يَصيحُ ويُهدِّدُ قائلاً:

ـ سنَلعبُ الآنَ لُعبةَ الفارسِ والغولِ، وستَقومُ أنتَ

استَشاطَ: اشتَعلَ.

بذورِ الحصانِ شِئتَ أم أَبَيْتَ، وإلّا...

ـ وإلّا ماذا؟...

ـ وإلّا أَلقَيتُ بنَفسي في الوادي!

ذُعرَ نَبيهٌ كلَّ الذُّعرِ، ورفَعَ يدَيهِ إلى السّماءِ مُستسلِماً مُستعيذاً باللهِ. وما لبثَ أن رضَخَ لإرادةِ العِفريتِ، مُمنِّياً نفسَهُ بالفَرجِ الوشيكِ، بعدَ عَودةِ سَعيدٍ.

أَحنى نَبيهٌ رَقَبَتَهُ مُتَنهِّداً، وجَثا على يَديهِ ورُكبتَيهِ، فما كانَ مِن مَرزوقٍ إلّا أن قفَزَ على ظَهرِهِ وفي يدِهِ غُصنٌ ليِّنٌ أخضرُ، فأطلَقَ نَبيهٌ صَيحةَ نِزاعٍ مؤلمةً. وراحَ الوَلَدُ الشّيطانُ يَخِزُ خاصرتَيهِ بكِلتا رِجلَيهِ كما توخَزُ البَهائمُ، فتَحرَّكَ نَبيهٌ بِثِقْلٍ وهُو يَئِنُّ ويَلهَثُ ويَتصبَّبُ عَرَقُه. وساءَ مَرزوقاً أن تتقدَّمَ مَطيَّتُه ببُطءٍ، فأمعَنَ في الرَّجلِ المِسكينِ وَخزاً، وأَخَذَ يَضرِبُ قَفاهُ بالقَضيبِ اللّاذعِ، فتَعالى صُراخُ نبيهٍ مُدوِّياً. وفي لَحظةِ يأسٍ

أَبَيْتَ: رفضْتَ.

يَتصبَّبُ: ينحدرُ، يتساقطُ.

انتفَضَ المِسكينُ بِشِدّةٍ، ففقَدَ الصّبيُّ **اتّزانَهُ** وتَدحرَجَ على الأَرضِ **يُعفِّرُ وَجهَهُ في التُّرابِ** وهُو يَنْتحِبُ ويَبكي.

قامَ نَبيهٌ وهُو في حالٍ **يُرثى لها**، وعادَ يُلاطِفُ الصَّبيَّ راجياً مِنهُ أَن يَعدِلَ عَن سُلوكِهِ المُخجِلِ، وهُو يَشرحُ له باقتناعٍ أَنَّ الفارسَ الشُّجاعَ يُعامِلُ مَطيَّتَهُ بِرِفقٍ مُعاملةَ الرَّفيقِ رفيقَهُ الأَمينَ. واستَقرَّ مَرزوقٌ مُجدَّداً على ظَهرِ نَبيهٍ، وطَفِقَ يَنغَزُه ويَضرِبُ قَفاهُ، ولَكنَّ قَسوتَهُ خَفَّتْ عَن ذي قبلُ...

عادَ سَعيدٌ ظُهراً فوجَدَ نَبيهاً داخلَ الكَهفِ مُنبطِحاً على وَجهِهِ. ولَمّا سأَلَهُ عَن حالِهِ كَشَفَ له المِسكينُ عَن رُكبتَيهِ وراحتَيْ يدَيهِ، وقَدْ وَرِمَتْ وتَنفَّخَتْ بسببِ الزَّحفِ الطّويلِ. وأشارَ إلى قَفاهُ يَشرحُ لِصَديقِهِ أَنَّ الضَّررَ الّذي أَصابَها يَمنعُه مِنَ القُعودِ! ثُمَّ قَصَّ علَيهِ ما حصَلَ، وكيفَ أَنَّ الصَّبيَّ جعَلَهُ مَطيّةً له وأَرغَمَهُ على

الاتّزانُ: الاعتدالُ.

عَفَّرَ وجهَهُ في التُّرابِ: مرَّغَهُ.

يُرثى لها: يُشفَقُ ويُعطَفُ علَيها.

حَملِهِ إلى مَغارةٍ بعيدةٍ عابثاً بكَرامتِهِ وسِنِّهِ. فغَضِبَ سَعيدٌ وتَمنّى، ضِمناً، أَن يَنتهِيَ الأَمرُ سريعاً للخَلاصِ مِنَ الولَدِ الشِّرّيرِ. ثُمَّ أَعلَمَ صَديقَهُ أَنَّهُ، فَورَ وُصولِهِ إلى القَريةِ، مكَثَ على مَقرُبةٍ مِن مَنزِلِ أَبي مَرزوقٍ يَنتظِرُ فُرصةً سانحةً، ثُمَّ دَسَّ الرّسالةَ خُلسةً تحتَ عَتَبةِ البابِ.

في المساءِ قَصَدَ سَعيدٌ إلى المَكانِ الّذي حدَّدَهُ للفِدْيَةِ، في المَدخلِ الجَنوبيِّ للقَريةِ، عندَ شجرَةِ السِّنديانِ الكبيرةِ. وبلَغَ المكانَ قبلَ المَوعِدِ المضروبِ، فتَسلَّقَ شجَرةً قريبةً مِن شجَرةِ السِّنديانِ، وباتَ يَنتظِرُ.

في السّاعةِ الحاديةَ عَشْرةَ تماماً شاهَدَ سَعيدٌ طَيفاً قادماً مِن بعيدٍ، يَتلفَّتُ يميناً وشِمالاً ويَتسلَّلُ بخَشْيةٍ واحتراسٍ. اقترَبَ الطَّيفُ أكثَرَ فأكثَرَ، فإذا به شابٌّ أَيقَنَ سَعيدٌ أَنَّهُ رسولُ الوالدِ. وضَعَ الشّابُّ إلى جِذعِ شجَرةِ السِّنديانِ شيئاً كانَ يَحمِلُه في يدِهِ، ثُمَّ عادَ أَدراجَهُ كما جاءَ بخِفّةٍ وهُدوءٍ. وعلى سَبيلِ الاحتياطِ مكَثَ سَعيدٌ في مَخبئِهِ فَترةً مِنَ الوقتِ، ثُمَّ نزَلَ وسارَ نحوَ شجَرةِ

السِّنديانِ، فانحنى، والتقَطَ الشَّيءَ الّذي وضعَهُ الشّابُّ عندَ جِذعِها، فإذا به غِلافٌ أبيضُ مختومٌ. فحمَلَهُ وغادرَ المَكانَ بخُطىً سريعةٍ في اتّجاهِ الكَهفِ.

بلَغَ الكَهفَ فإذا بمَرزوقٍ قد نامَ، ونَبيهٌ عندَ المَدخلِ يَترقّبُ عَودةَ صَديقِهِ بفارغِ الصَّبرِ. جلَسَ سَعيدٌ بجانبِ نَبيهٍ، فاستَراحَ قليلاً، ثُمّ فَضَّ الغِلافَ، فوجَدَ فيهِ رسالةً. قرَأَها بصوتٍ خافتٍ في ضَوءِ شمعةٍ، وهَذا نصُّها:

«مِن والدِ مَرزوقٍ إلى الشّابَّينِ اليائسَينِ:

«تَسلَّمْتُ رسالتَكُما بعدَ ظُهرِ اليومِ، فقرَأْتُها وأُعجِبْتُ بجُرأتِكُما في اختطافِ الصّبيِّ. فإلَيكُما منّي أَصدقَ التّهاني. ولَكنّني أَعتقدُ أَنّكُما بالَغْتُما كثيراً في شأنِ الفِدْيَةِ الّتي تَطلُبانِها لإعادتِهِ. وها إنّني أَقترِحُ شُروطاً أَكثرَ اعتِدالاً، راجياً العملَ بها في الحالِ:

«يُعادُ مَرزوقٌ إلى المَنزلِ ليلاً، وأَقولُ ليلاً لأنَّ أَهلَ القَريةِ يَعتقِدونَ أَنَّ مَرزوقاً تائهٌ وأَنَّهُ سيَعودُ حَتماً. وإنّي لواثِقٌ بأَنَّ السُّكّانَ **سيَقْتَصّونَ مِنكُما** إذا شاهَدوكُما

يقتصّونَ مِنكُما: يُقاصِصونَكُما.

تَعودانِ بالصَّبيِّ في ظُروفٍ مُريبةٍ، وفي وَضَحِ النَّهارِ.
فأنا، إذاً، أرضى بعَودةِ مَرزوقٍ شَرطَ أَن تَدفَعا لي مَبلغ خَمسِ مئةِ ليرةٍ، وهُو مَبلغٌ ضئيلٌ بالنِّسبةِ إلى الخِدمةِ الّتي أُسديها إِلَيْكُما بإخراجِكُما مِنَ المَأزِقِ الّذي تَورَّطْتُما فيهِ...

«وفي انتظارِ قرارِكُما السّريعِ، أَرجو أَن تَعلَما أَنَّ هَذهِ الشُّروطَ لا تَقبلُ الجِدالَ أَوِ التَّبديلَ.

الإمضاءُ: والدُ مَرزوقٍ»

وقَعَتِ الرّسالةُ على الصّديقَينِ وَقْعَ الصّاعقةِ، فارتسَمَ الذُّهولُ على وَجهَيْهِما. وعادَ سَعيدٌ إلى الرّسالةِ يَقرؤُها تَكراراً وهُو يُفكِّرُ مُتحسِّراً في الوَضعِ الّذي انتَهَيا إليهِ. وبَقِيَ الشَّقيّانِ واجمَينِ لحَظاتٍ طويلةً، لا يُصدّقانِ كيفَ انقلَبَ الوَضعُ على هَذهِ الشّاكلةِ. ثُمَّ قالَ نبيهٌ:

ـ سَعيدُ، لقَدْ كانَتْ عمليَّتُنا مُخاطَرةً مُنذُ بدايتِها. فهذا الشَّيطانُ لا يُطاقُ. وسأنتَهي حَتماً في مَصحَّةٍ للأمراضِ العقليّةِ إذا بَقِيَ مَعَنا أَكثرَ مِن هَذا. صَحيحٌ

وَضَحُ النّهارِ: ضَوؤُه.

أَنَّ خَسارتَنا ستَكونُ فادحةً إذا قَبِلْنا بشُروطِ الوالدِ، ولَكنَّني لا أَجِدُ غيرَ هَذا الحلِّ، مَخرجاً. دَعْنا إذاً نَنقُدْهُ المالَ ونَتخلَّصْ مِنَ الصَّبيِّ، فنَمضيَ في سبيلِنا بعيداً عَن هَذهِ القَريةِ اللّعينةِ.

ـ أَجَلْ يا نَبيهُ، إنَّ الصَّبيَّ كَفيلٌ بأَن يُثيرَ جُنونَ أيِّ إنسانٍ. سنُعيدُه إلى ذَويهِ، ولْتَكُنْ هَذهِ الحادثةُ درساً لنا نَتَّعظُ به ولا نَنساهُ!...

وهَكذا كانَ. أُعيدَ مَرزوقٌ إلى والدَيهِ سالماً، بعدَما لاقى الصّديقانِ صُعوبةً فائقةً في إقناعِهِ بالعَودةِ. وعلى الأَثرِ غادرَ سَعيدٌ ونَبيهٌ القَريةَ سَعيدَينِ، على رُغمِ الخَسارةِ الّتي لَحِقَتْ بِهِما، وقَدْ تابا إلى اللهِ مُصمِّمَينِ أَلّا يَعودا إلى مِثلِ هَذهِ المُغامَرةِ الطّائشةِ الّتي كادَتْ تُنزِلُ علَيهِما الوَيلَ والعَذابَ.

قصة

فَراشَةُ الحَقِّ

تَراخَتْ هَناءُ على عَتَبةِ بَيتِها، واتَّكأَتْ إلى الحائطِ المَبنيِّ بالقَشِّ والقَصَبِ والطِّينِ، وهِي تَنظرُ إلى بُستانِها الصّغيرِ حزينةً، يائسةً. راحَتْ تُنقِّلُ نِظْراتِها الحالمةَ مِن شجَرةٍ إلى شجَرةٍ، ومِن ثَلْمٍ **تَهادَتْ** فيهِ اللّوبياءُ فوقَ ركائزِها الرّقيقةِ، إلى ثَلمٍ آخَرَ تَعانقَتْ فيهِ غِراسُ البَندورةِ والتُّربةُ الحمراءُ.

وكانَتْ خُيوطُ الشّمسِ الأَخيرةُ تَتسرَّبُ بفُتورٍ مِن خلالِ غصونِ شجَراتِ الخَوخِ والتُّفّاحِ العشرينَ الّتي تُظلِّلُ البيتَ ثُمّ غاصَتْ تِلكَ الخُيوطُ الحمراءُ في **يَمّ**

تَهادَتْ: تمايلَتْ.

اليَمُّ: البحرُ.

الأُفقِ البعيدِ **وتَوارَتْ**، مُخلِّفةً غِشاءاتٍ قِرمزيَّةً ما لَبِثَتْ أَنْ تَلاشَتْ معَ تباشيرِ **الغَسَقِ** القريبِ.

مَدَّتْ هَناءُ يدَها تُداعِبُ بها شَعَر وحيدِها سَميحٍ الّذي كان جالساً بجوارِها يَبتسمُ لها: هو ابنُ تِسعِ سنَواتٍ، صَبيحُ الوَجهِ، **وسيمُ القَسَماتِ**، صحيحُ البُنيانِ، تَرتسمُ البراءةُ على مُحيّاهُ.

بعدَ ارتحالِ الشّمسِ هَبّتْ نَسمةٌ عليلةٌ داعبَتْ وَجهَيْ هَناءَ وسَميحٍ، وجفَّفَتْ حبّاتِ عَرَقٍ تَندّى بها جَبينُهما بعدَ عملٍ طَويلٍ في البُستانِ مِن صَبيحةِ ذلكَ اليومِ حَتّى العِشاءِ. غيرَ أنَّ هَناءَ لَم تَكُنْ لتَنعَمَ بالرّاحةِ بعدَ المَشقّةِ، ولا بالبُرودةِ بعدَ حرِّ النّهارِ، كما كانَتْ تَفعلُ قبلَ ذلكَ اليومِ. ذلكَ لأنّها فَقَدَتْ زَوجَها مُنذُ عهدٍ قريبٍ: كانَ زَوجُها حَيمٌ مُحِبّاً وفيّاً، وعاملاً نشيطاً قويّاً؛ وكانَ الزّوجانِ يَعيشانِ معَ ابنِهما في سعادةٍ وهَناءٍ، إلى أنْ

تَوارَتْ: اختَفَتْ.

الغَسَقُ: ظُلمةُ أوّلِ اللّيلِ.

الوسيمُ: الحَسَنُ الجميلُ.

القَسَماتُ: أقسامُ الوَجهِ.

عَمَّ المَنطِقةَ وباءٌ **عُضالٌ** أَودى بالكثيرينَ مِنَ السُّكّانِ، فقَضى حَليمٌ في مَنْ قَضَوْا، و**وُسِّدَ** التُّرابَ مُخلِّفاً يتيماً صغيراً بائساً، وأرملةً شابّةً **مَهيضةَ** الجَناحِ.

كانَ حليمٌ في حَياتِهِ يَعملُ عندَ مُزارِعٍ مِنَ المُزارِعينَ الأَغنياءِ، فاكتَسَبَ بجِدِّهِ وأَمانتِهِ وإخلاصِهِ لعَملِهِ عَطفَ ذَلكَ الرَّجلِ الّذي قَدَرَ جُهودَهُ وأرادَ أَنْ يُكافِئَهُ، فعَرَضَ عَليهِ أَنْ يُسلِّفَهُ مَبلغاً مِنَ المالِ يَشتري بهِ أرضاً يَزرعُها. فقَبِلَ حَليمٌ بالشُّكرِ والعِرفانِ، وأخَذَ مِنَ المُزارِعِ الغَنيِّ مَبلغَ ثَلاثةِ آلافِ ليرةٍ ابتاعَ بهِ البيتَ والبُستانَ. وبَقيَ حَليمٌ يُسدِّدُ دُيونَهُ مدّةً مِنَ الزّمانِ، إلى أَنْ **وافَتْهُ المَنيّةُ**، ولَمْ يَكُنْ قَد بَقيَ لدائنِهِ في ذِمّتِهِ غيرُ مَبلغٍ قَدْرُه خمسُ مئةِ ليرةٍ.

وشاءَتِ الأَقدارُ أَنْ يَموتَ ذَلكَ المُزارِعُ الغَنيُّ بعدَ

الوَباءُ: المرَضُ الهامُّ المُعدي.

العُضالُ: المستَعصي على الشِّفاءِ.

وُسِّدَ: جُعِلَتْ له وِسادةٌ، وهُنا كِنايةٌ عَنْ أنّهُ دُفِنَ في التُّرابِ.

مهيضةٌ: مَكسورةٌ.

وافَتْهُ المَنيّةُ: أدرَكَهُ الموتُ.

مَوتِ حَليمِ بِفَترةٍ قصيرةٍ، مُصاباً بالمَرضِ الخبيثِ نفسِهِ، فبدَأَتْ بمَوتِهِ مأساةُ هَناءَ!

تَسَمَّمَ أبناءُ المُزارِعِ الغَنيِّ الرّاحلِ **زِمامَ العملِ** في المَزرعةِ الكبيرةِ. وذاتَ يومٍ، فيما كانَ الِابنُ الأكبرُ يَتفحَّصُ بعضَ الأَوراقِ والوَثائقِ المَحفوظةِ، عثَرَ على سَنَدٍ وقَّعَهُ حَليمٌ لَدى استِدانتِهِ المالَ مِن رَبِّ عملِهِ، يُقِرُّ فيهِ بأنَّهُ مَدينٌ له بمبلغِ ثلاثةِ آلافِ ليرةٍ. ولَمْ يَرِدْ في السَّنَدِ ذِكرٌ للأقساطِ الّتي سدَّدَها حَليمٌ تِباعاً، فظَنَّ الوريثُ أَنَّ أَرملةَ حيمٍ كانَتْ تَدينُ له شَرْعاً بالمَبلغِ كاملاً، فذهَبَ إلى هَناءَ يُطالبُها بالمالِ. وكَم كانَتْ دَهشةُ الأَرملةِ الشّابّةِ عظيمةً عندَما عَمِمَتْ بالواقعِ المَريرِ: راحَتْ تَشْرَحُ للوَريثِ حقيقةَ الأَمرِ، فطلَبَ إلَيها الرَّجلُ أَن تُبرِزَ الإثباتَ على صِحّةِ قَولِها، فعَجِزَتِ المِسكينةُ عَنِ الأَمرِ، وعمَدَتْ إلى إقناعِهِ باللّينِ والقَسَمِ و**الحُسْنى**، مِن غيرِ أَن يُعيرَها الوريثُ أُذناً صاغيةً، لِاعتقادِهِ أَنَّ

زِمامُ العملِ: طريقةُ تَنظيمِهِ والقيامِ به.
الحُسنى: الطّريقةُ الحسَنةُ.

المرأةَ كانَتْ تُريدُ أَن **تغمِطَهُ حَقَّهُ**. وجَثَتْ هَناءُ عندَ قَدَمَيهِ **تَلثُمُ** أمامَهُ الأَرضَ ضارعةً إلَيهِ أَن يُصدِّقَها، وحَذا سَميحٌ حَذْوَها، فلَمْ تَجِدِ الدّموعُ ولا التّوسُّلُ سَبيلاً إلى قلبِ الوريثِ الّذي أَصرَّ على تَحصيلِ مالِهِ. وخَرَجَ مِن بيتِ هَناءَ وهُو يُهدِّدُ ويَقولُ:

ـ غَداً سيَقولُ القاضي كلامَهُ الفَصلَ بينَنا!

استَدعى القاضي هَناءَ في اليومِ التّالي، فمثَلَتْ أمامَهُ، واستَمعَتْ إلى دَعوى الوريثِ. وسأَلَها القاضي عَن وسيلتِها للدِّفاعِ في قَضيَّتِها، فلَمْ تَكُنْ لِهَناءَ أيُّ وسيلةٍ غَيرِ **استِدرارِ** العَطفِ والبُكاءِ، والقَسَمِ بأَنَّ المالَ قد سُدِّدَ أَكثرُه، غيرَ خَمسِ مئةِ ليرةٍ هي الكمّيّةُ الباقيةُ!

وبدا للقاضي أَنَّ هَناءَ كاذبةٌ، وأَنَّها تُريدُ نَقضَ العَهدِ الّذي أَخَذَهُ زَوجُها الرّاحلُ في إعادةِ المالِ إلى أَصحابِهِ. فوَبَّخَها، وحكَمَ بأَن تُسدِّدَ المالَ بكامِلِهِ.

غمَطَ الحقَّ: جَحدَهُ وأَنكرَهُ.

تلثُمُ: تُقبِّلُ.

الاستدرارُ: الاستجلابُ.

ثلاثةَ آلافِ ليرةٍ مِن غيرِ نُقصانٍ!

وعندَما اعترَفَتِ المِسكينةُ بأنّها عاجزةٌ عَن دفعِ هَذا المَبلغِ، أَمَرَ القاضي باحتجازِ بيتِها والبُستانِ لبَيعِهِما بالمَزادِ خِلالَ ثمانٍ وأربعينَ ساعةً.

لهَذا السّببِ بالذّاتِ جلَسَتْ هَناءُ في تِلكَ العَشيّةِ وهِيَ مُضطَرِبةٌ مُكتئِبةٌ. كانَتْ تَنظُرُ إلى كلِّ غَرسةٍ وكلِّ شجرةٍ غرَسَتْها يَداها، ويَدا زَوجِها مِن قَبلِها، فيَدمى قلبُها حَسرةً وحُزناً. وعادَتْ تُفكِّرُ في حالِها البائسةِ، فبَكَتْ، وقامَتْ إلى الدّاخلِ لتَختبئَ بنَفسِها وتُخفيَ حُزنَها عَنِ ابنِها الصّغيرِ. ولكنَّ سَميحاً لَحِقَ بها وراحَ يَبكي لبُكائِها، وهُوَ يُحاوِلُ، ببراءتِهِ، أَن يَمسحَ **مُهْجةَ** أمِّهِ ببَعضِ التّعزيةِ والسّلوى.

قالَ لها بصوتٍ بدَّلَتْهُ الزَّفَراتُ:

ـ تَذكّري يا أمّي ما قالَهُ والدي وهُوَ في رَمَقِهِ الأخيرِ. لقَدْ أَمسكَ يدَينا يشدُّهُما إلى قلبِهِ وقالَ: «إنَّ اللهَ **نَصيرُ**

المُهجةُ: الرّوحُ، النّفْسُ.

النّصيرُ: المُعينُ، المُساعِدُ.

الأَراملِ، وأبو اليَتامى، فتَضَرّعا إلَيهِ في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ، فهُو لا يَرُدُّ لَكُما طَلَباً، لأَنَّهُ قادرٌ على كلِّ شيءٍ في كلِّ حينٍ».

كانَ لِهَذهِ الكَلماتِ الرّقيقةِ أَبلغُ الأَثَرِ في قَلبِ الأمِّ، فابتَسَمَتْ وقالَتْ:

ـ أجَلْ، يا سَميحُ، أجَلْ يا حَبيبي! لَم أَنسَ كلامَ والدِكَ، رَحمةُ اللهِ عليَهِ. فاللهُ سُبحانَهُ لَن يَترُكَنا فَريسةً لِلهَمِّ واليأسِ.

شَبَكَتْ هَناءُ أصابعَ يدَيها، وخَرَّتْ على رُكبتَيها، ونظَرَتْ إلى فوقُ. وجَثا سَميحٌ بالقُربِ مِنها.

كانَ البدرُ **يَستَرِقُ النَّظَرَ**، فإذا ببَصَرِهِ الشّاحبِ يَنعكِسُ على ذَينِكَ الوَجهَينِ المعذَّبَيْنِ وقَدْ بَلَّلَتْهُما دموعُ الشّقاءِ. فعادَ وانكَسفَ وراءَ **غَمامةٍ** عابرةٍ، **حِشمةً** ووَقاراً!

يَسترقُ النَّظرَ: يَنظُرُ خُلسةً وخفيةً.

الغمامةُ: الغَيمةُ

الحشمةُ: الحياءُ.

أخَذَتِ الأمُّ تَتلو الصّلاةَ، وابنُها يُردِّدُها مِن بَعدِها:

ـ اللّهُمَّ ليسَ لنا سَنَدٌ إلّاكَ. أنتَ أبونا وإلَيكَ نَلجأُ وإيّاكَ نَستعينُ. أنقِذْنا يا ربُّ مِنَ الصِّعابِ، وابقَ نَصيراً للعَدلِ والحَقِّ. أنِرْ قلوبَ النّاسِ إلى طريقِ الصَّوابِ، وهَبِ البَصيرةَ للّذينَ يُقاضونَنا باطلاً، لأنَّهُم في الواقعِ يَجهلونَ الحقيقة، أو فاجْعَلْنا نَجِدُ غيرَ هَذا المكانِ مأوىً، وسَنكونُ سعيدَينِ أينَما حَلَلْنا، لأنَّ ذِكرَكَ وروحَكَ سيَبقَيانِ معَنا ما حَيينا!

وبلَغَ التّأثُّرُ مِن هَناءَ أشَدَّهُ فلَمْ تَقوَ على إكمالِ صَلاتِها. وعادَتْ إلى **ذَرفِ العَبَراتِ** وهِيَ **تَرنو** إلى السّماءِ مِن خِلالِ النّافذةِ بعَينٍ مِلؤُها الأَسى.

بَقيَ سَميحٌ جاثياً يُتمِّمُ صَلاتَهُ بصوتٍ خافتٍ. وحانَتْ مِنهُ التِفاتةٌ إلى النّافذةِ، فرَأى فَراشةً تَدخُلُ إلى الغُرفةِ وهِيَ تَتهادى في طَيَرانِها كأنَّها مَلِكةُ الفَراشاتِ!

ذَرفُ العَبَراتِ: سَكبُ الدّموعِ.
تَرنو: تُديمُ النَّظرَ ساكنةَ الطَّرفِ.

لَمْ تَكُنْ كفراشاتِ النّهارِ أَوِ اللّيلِ الّتي شاهدَها مِن قَبلُ: هي كبيرةُ الحَجمِ، ذاتُ ألوانٍ جميلةٍ زاهيةٍ، أَجملُ ما فيها جَناحانِ ذَهبيّانِ يُشعّانِ كالضِّياءِ! فراقَتِ الفَراشةُ الصَّبيَّ وَأَنسَتْهُ شقاءَهُ في الحالِ، فنَهَضَ تَوّاً وعَيناهُ عالِقتانِ بها، وقالَ لأُمّهِ:

ـ ماما، انظُري إلى هَذهِ الفَراشةِ العجيبةِ؛ إنَّ عَينيَّ لَم تَقعا على مِثلِها قَطُّ!

التَفتَتِ الأمُّ إلى الفَراشةِ، فأُعجِبَتْ هي أَيضاً بجَمالِها فقالَتْ:

ـ أجَلْ يا حَبيبي، إنَّها حقّاً لجَميلةٌ!

وبَقيَ الاثنانِ ينظُرانِ إلى هَذهِ المُجنَّحةِ الرّقيقةِ تُحوِّمُ حَولَ القِنديلِ، وتَذرَعُ جوَّ الغُرفةِ في تَحليقٍ مُستَمرٍّ، وعَينا سَميحٍ تُلاحِقانِها بإعجابٍ. قالَ الصَّبيُّ لأُمّهِ:

ـ ماما، أُريدُ الإمساكَ بها، هَل تَسمحينَ لي بهَذا؟

ـ بالتّأكيدِ يا سَميحُ، الحَقْ بها والتَقِطْها إذا استَطَعْتَ.

انفرَجَتْ أَساريرُ الصَّبيِّ، وجَدَّ في أَثَرِ الفَراشةِ:



راحَ يَدورُ وراءَها، **يَتربّصُ بها** آناً ثُمّ يَنقضُّ فتُفلِتُ مِنهُ مُتَجافيةً، أَو يَقفِزُ في الهواءِ فتُمعِنُ الفَراشةُ بُعداً كأنَّما تُريدُ مُداعَبَتَهُ و**مُشاكَسَتَهُ**. ثُمّ هبَطَتْ في تحليقِها باتّجاهِ الأَرضِ، وما لَبِثَتْ أَنِ اختَفَتْ تحتَ المَقاعِدِ؛ ثُمَّ عادَتْ إلى الظُّهورِ مِن تحتِ الطّاولةِ، واستَقَرَّ بها المَطافُ نِهائيّاً وراءَ خِزانةٍ كبيرةٍ تَحتلُّ صَدرَ الغُرفةِ، فغابَتْ عَن ناظِرَيهِ وبَقيَتْ هُناكَ.

انحَنى سَميحٌ ونظَرَ تحتَ الخِزانةِ فلَمْ يرَ لِلفَراشةِ أَثَراً، فقَدَّرَ أَنّها لجأَتْ إلى الحائطِ مِن خِلالِ الفَراغِ القائمِ بينَ الخِزانةِ والجِدارِ. عِندَئذٍ نظَرَ إلى أُمِّهِ وقَدْ **عيلَ صَبرُه**، وقالَ لها مُتَوسِّلاً:

ـ ماما، لقَدْ عَلِقَتِ الفَراشةُ بالحائطِ، هَل تُساعدينَني على إزاحةِ الخِزانةِ لأَرى ماذا حدَثَ؟

سارَعَتِ الأُمُّ لتلبيةِ رَغبةِ وحيدِها، فأَعانَتْهُ على

يَتربّصُ بها: يَنتظِرُها ليهجُمَ عليها.
المُشاكَسةُ: المُخالَفةُ والمعاكسةُ.
عيلَ صَبرُه: غُلِبَ ولَمْ يَعُدْ قادراً على الصَّبرِ.

زَحزَحَةِ الخِزانةِ. وبالفِعلِ عثَرَ سَميحٌ على الفَراشةِ الجميلةِ، فحمَلَها برِفقٍ في راحةِ يَدِهِ وراحَ يَنظُرُ إِلَيها، يَتفحَّصُها، يَتحسَّسُها، وهِي تُرفرِفُ مُتَملمِلةً كالأَسيرِ مُغَلَّلاً يَبغي الخَلاصَ.

في تِلكَ اللّحظةِ بالذّاتِ كانَ اهتمامُ الأمِّ مُنصَرِفاً إلى غيرِ ذَلكَ الحَدَثِ الّذي مَلَكَ على الصَّبيّ لُبَّهُ: فهِي، حينَ أَزاحَتِ الخِزانةَ، قَد سَمعَتْ شيئاً يَسقُطُ على الأَرضِ مِن وَرائِها، فانحنَتْ والتَقَطَتْهُ، فإذا به مُفكِّرةٌ كانَ زَوجُها يُدوِّنُ فيها مُذكَّراتِهِ وحساباتِهِ.

تَسارَعَتْ دَقّاتُ قلبِ هَناءَ والرَّجاءُ مِلْءُ عَينَيها: لقَدْ بَحَثَتْ عَن هَذهِ المُفكِّرةِ أيّاماً طويلةً، وها هي الآنَ تَعثُرُ علَيها بفَضلِ المصادَفةِ والقَدَرِ! راحَتْ تُقلِّبُ صفَحاتِ المُفكِّرةِ صفحةً صفحةً، حَتّى وقَعَ بَصَرُها على سُطورٍ أَثلَجَتْ صَدرَها: فقَدْ وجَدَتْ في إحدى هَذهِ الصَّفحاتِ حسابَ المالِ الّذي استدانَهُ زَوجُها مِنَ المُزارِعِ الغَنيِّ، وتاريخَ الأَقساطِ الّتي سدَّدَها زَوجُها بالمالِ أَو بالخِدْماتِ! هَذا كلُّه مُدوَّنٌ بخَطِّ

المُزارعِ الغَنيِّ نفسِهِ، ومَمهورٌ بتَوقيعِهِ واسمِهِ!

ولا حاجةَ هَهُنا إلى وَصفِ السّعادةِ الّتي غمَرَتْ قلبَ الأمِّ المِسكينةِ؛ فأَطلعَتِ ابنَها على اكتشافِها، ثُمّ طَفِقَتْ تَرقُصُ وهِي تَضُمُّ سَميحاً وتُقبِّلُه، تَبكي وتَضحكُ في آنٍ معاً. وكانَ الصَّبيُّ يُشاطِرُها سرورَها وسعادتَها، فيُقبِّلُها ويُداعبُ خَدَّيها ويُصفِّقُ بيدَيهِ؛ ثُمَّ قالَ لأمِّهِ:

ـ هَل هَذا يَعني أنَّنا سنَحتفِظُ برِزقِنا؟

ـ أَجَلْ يا ماما، لَن يَقدِرَ إنسانٌ على سَلبِنا حَقَّنا بعدَما عَثرْنا على هَذا الدّليلِ. إنَّها مشيئةُ اللهِ تَعالى الّذي أَرسلَ هَذهِ الفَراشةَ إلى المكانِ الّذي بَقيَ فيهِ الدَّفترُ سنةً كاملةً مِن غيرِ عِلمٍ مِنّا!

وفي غَمرَةِ الفَرحِ والبَهجةِ كانَ سَميحٌ قَد أَطلقَ سَراحَ الفَراشةِ سَهواً. وعادَ يَبحثُ عَنها فشاهَدَها وقَدْ عادَتْ إلى سابقِ عَهدِها مِنَ التّحليقِ والرَّفرفةِ. ولَكنْ، ما إنْ هَمَّ بالقبضِ علَيها مرّةً ثانيةً حَتّى انتفَضَتْ واتَّجَهتْ شطرَ النّافذةِ، حَيثُ تَوقَّفَتْ لفَترةٍ وجيزةٍ تَهزُّ جَناحَيها

في حرَكةِ وَداعٍ. ثُمَّ طارَتْ إلى الخارجِ، فلاحَقَها الصَّبيُّ ببَصَرِهِ حَتّى غابَتْ وراءَ حِجابِ اللّيلِ.

ركَنَتْ هَناءُ وابنُها إلى فِراشِهِما، فنامَ الصَّبيُّ في تِلكَ اللّيلةِ قَريرَ العينِ: غداً سيعودُ إلى العملِ معَ أمِّهِ في بُستانِ البيتِ، واللّهوِ فيهِ أُوَيقاتِ الفَراغِ، فيَتمرَّغُ في أكداسِ التِّبنِ العَطِرِ، ويَقطِفُ الثِّمارَ، ويَعدو بينَ المُدرَّجاتِ، وما مِن كدَرٍ يُعكِّرُ صَفوَ حياتِهِ وحياةِ أمِّهِ. وبَقِيَتِ الأمُّ فترةً طويلةً تَتقلَّبُ في سريرِها وهِي تَتمنّى لَو أَنَّ اللّيلَ يَتقلَّصُ ويَتلاشى لتَذهبَ إلى القاضي، فيُعيدَ النّظَرَ في أَمرِها، ويَسْتتِبُّ لها الحقُّ والأَمانُ.

في الصّباحِ الباكرِ جَدَّتْ هَناءُ إلى مَكتبِ القاضي، ولَمْ يَكُنْ قَد سبقَها إلَيهِ أَحدٌ. استقبَلَها القاضي مُقطِّبَ الجَبينِ، وقالَ لها:

ـ ما لَكِ يا امرأةُ؟ الحُكمُ قَد صدَرَ، ولا حاجةَ بِكِ إلى الإصرارِ، فأنتِ تُضيعينَ وَقتي سُدىً!

يَستَتِبُّ: يَستقيمُ ويَستمِرُّ.

قالَتْ هَناءُ وهِي تُناوِلُه الدَّفترَ:

ـ سَيِّدي، لقَدْ وَجَدْتُ الإثباتَ الَّذي يَشهَدُ بصِحَّةِ كلامي. انظُرْ يا سَيِّدي، هَذهِ إيصالاتٌ بالمالِ الَّذي سدَّدَهُ زَوجي لِمُعلِّمِهِ تِباعاً حَتّى تاريخِ وَفاتِهِ، وقَّعَها صاحِبُ الأَرضِ بيَدِهِ...

نظَرَ القاضي إلى الدَّفترِ باهتمامٍ، واطَّلعَ على مُحتَوياتِ الصَّفحةِ الثَّمينةِ. ثُمَّ نَظَرَ إلى هَناءَ وقالَ لها بلُطفٍ:

ـ اجلِسي هُنا يا ابنَتي، وانتَظِري رَيثَما أُرسِلُ في طَلَبِ الوريثِ.

فوجِئَ الوَريثُ بوُجودِ المرأةِ جالسةً في مَكتبِ رَجلِ العَدلِ، فارتابَ في الأَمرِ، وسأَلَ بفُضولٍ:

ـ ها أنَذا يا سَيِّدي، هَل مِن جديدٍ؟

ـ تعالَ، اقترِبْ، انظُرْ إلى هَذا الدَّفترِ؛ هَل بإمكانِكَ تَعرُّفُ هَذا الخَطِّ؟

لَم يَكَدْ بصَرُ الوريثِ يَقَعُ على السُّطورِ المُشارِ إلَيها حَتّى قالَ:

ـ أجَلْ، إنَّهُ خَطُّ والدي، رَحِمَهُ اللهُ، لا رَيبَ في هَذا على الإطلاقِ...

تنفَّسَتْ هَناءُ الصُّعَداءَ، إذ كانَتْ تَخشى أن يُنكِرَ الشّابُّ حقيقةَ الأمرِ. ونظَرَ القاضي إلى الوريثِ شَزْراً وقالَ له بلَهجةٍ مُوَبِّخَةٍ:

ـ لقَدْ كَبَّدْتَ هَذهِ الأَرملةَ المِسكينةَ شقاءً وعذاباً مِن غيرِ داعٍ. هَذا عملٌ **اعتباطيٌّ** قاسٍ!

أجابَ الشّابُّ بلَهجةٍ صادقةٍ:

ـ سَيِّدي، إنَّني أُقسِمُ باللهِ أنَّ ما فعلتُه لَم يَكُنْ بدافعِ النِّيَّةِ السَّيِّئةِ، بَل ظَنّاً مِنّي أنَّ هَذهِ المرأةَ المِسكينةَ كانَتْ تَخدَعُني. وكيفَ تُريدُ منّي أن أَعرِفَ الحقيقةَ حينَ لَم تَكُنْ هُنالِكَ وثيقةٌ توضِحُ الأمورَ كما اتَّضحَتْ لنا الآنَ؟ أوَلَم تَحكُمْ أنتَ نفسُكَ، بوَحيٍ مِن ضَميرِكَ وعَدلِكَ، بعدَما تأكَّدَ لكَ أن لا وُجودَ للإثباتِ **بَتاتاً**؟

أَطرَقَ القاضي بُرهةً ثُمَّ قالَ:

اعتباطيٌّ: لا سَببَ ولا مُبرِّرَ له.

بَتاتاً: قطْعاً.

ـ أجَلْ، هَذا صحيحٌ، وأنا أَعتقِدُ أَنَّنا كِلَيْنا أَسأْنا مُعاملةَ هَذهِ المرأةِ، ونَصيبُنا في الإساءةِ واحدٌ.

ثُمَّ التَفتَ إلى هَناءَ وقالَ لها مُلاطِفاً:

ـ أرجو المَعذِرةَ، إنَّ الحُكمَ الّذي نَطَقْتُ به لَمْ يَكُنْ ظالماً عَن عَمدٍ وتَصميمٍ، فلَو أَنَّكِ قدَّمْتِ هَذا الإثباتَ مِن قَبلُ لَما كانَ ما كانَ... اذهَبي بأمانِ اللهِ، ولْيَكُنْ رِزقُكِ حَلالاً علَيكِ وعلى ولدِكِ...

ولَكنَّهُ استَوقفَها قَبلَ أَن تَنصرِفَ وسأَلَها:

ـ قولي يا هَناءُ، لماذا لَم تُبرِزي هَذا الدَّفترَ إبّانَ المُحاكَمةِ؟

قصَّتْ هَناءُ قِصّتَها، وكيفَ أنَّها عَثَرَتْ على المُفكِّرةِ مُصادَفةً. فتأثَّرَ الرَّجلانِ تأثُّراً شديداً، وتَقدَّمَ الوريثُ مِن هَناءَ فقالَ لها بصوتٍ مُختنِقٍ:

ـ هَناءُ، إنّني أَطلُبُ إلَيكِ الغُفرانَ! فلَو أَنّي **تَذَرَّعْتُ بالصَّبرِ** و**لُذْتُ** بالحِكمةِ لانْجلَتِ الأمورُ بالتَّروّي، ولَما

تَذَرَّعْتُ بالصَّبرِ: استَعَنْتُ وتوسَّلْتُ بالصَّبرِ.

لاذَ بهِ: التجأَ إليهِ.

كُنتُ سَبباً في عَذابِكِ هذَينِ اليومَينِ الأَخيرَينِ.

ـ عَفْوَكَ يا سَيِّدي، يَغفِرُ اللّٰهُ لكَ إذا كُنتَ قد أَسأْتَ إليَّ! وأنتَ تَصرَّفْتَ كأيِّ إنسانٍ، وكُنتَ عُرضةً للتّضليلِ.

ـ أنتِ تَقولينَ هَذا لأنَّكِ طَيّبةُ القلبِ عفيفةُ النّفسِ، فشُكراً لكِ. وأمّا الآن فأنا أُقسِمُ أمامَ اللّٰهِ والعَدلِ بأنَّني سأُحافِظُ على حُسنِ جِوارِنا ما حَييتُ. وإنّي أَرجو أَلّا تَترَدَّدي في اللّجوءِ إليَّ في أيِّ وقتٍ مِنَ الأَوقاتِ إذا كُنتِ بحاجةٍ إلى عَونٍ أَو مُساعَدةٍ. واسمَحي لي بأَن أُكفِّرَ عَن ذَنْبي بالتَّخلّي عَمّا تَبقّى مِن دَينِ زَوجِكِ، وأَرجو أَن يُعينَكِ هَذا المالُ على تحسينِ بيتِكِ ورِزقِكِ!

وحاوَلَتْ هَناءُ رَفْضَ هِبةِ الوريثِ شاكرةً، غيرَ أَنَّ الشّابَّ غادَرَ القاعةَ وترَكَها مُضطرِبةً سعيدةً. وكانَ القاضي يَبتسِمُ راضياً، ناعمَ البالِ.

تَعاقبَتِ الأَيّامُ، وهَناءُ معَ ابنِها سَميحٍ في أَحسنِ حالٍ. وكانَ الوريثُ الشّابُّ يَتردَّدُ علَيهِما بينَ حينٍ

وآخَرَ يُشارِكُهما في العملِ بأرضِهِما بقَدْرِ ما تَسمحُ به هَناءُ. ولَمْ يَمضِ على تِلكَ الحادثةِ وقتٌ طويلٌ حَتّى تقَدَّمَ الوريثُ مِن هَناءَ طالباً يدَها، فقبِلَتْ به زَوجاً، وانتقَلَتْ معَ سَميح إلى المَنزلِ الزَّوجيِّ الجديدِ حَيثُ عاشَ الثّلاثةُ أعواماً مديدةً سعيدةً.

الاستثمارُ التّربويُّ

1 ملحٌ ودموعٌ

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1 ما علاقةُ عنوانِ القصّةِ بمضمونِها؟

2 أواقعيّةٌ هٰذهِ القصّةُ أم خُرافيّةٌ؟ لماذا؟

3 وصفَ الكاتبُ العجوزَ في أوّلِ القصّةِ بأنّها طيّبةٌ، في حينِ أنّ جيرانَها كانوا يصفونها بأنّها ساحرةٌ وماكرةٌ كالشّيطانِ؛ كيف تَصِفُها أنتَ من خلالِ ما قامتْ به في القصّةِ؟ علِّلْ إجابتَكَ.

4 ما الّذي قادَ الأميرَ الشّابَّ إلى قصرِ الملكِ؟

5 لماذا وقعتِ الملكةُ مغشيّاً عليها عندما فتحتْ غطاءَ الزُّمرُّدةِ؟

6 لماذا طردَ المَلكُ ابنتَهُ الصُّغرى مِنَ القصرِ؟ وهَل كانَتْ تستحقُّ هذا العقابَ؟ علِّلْ إجابتَكَ.

7 هَل كانتِ الأميرةُ الصّغيرةُ مُصيبةً في وصفِ محبّتِها لوالدِها كما فعلتْ؟ علّلْ إجابتَكَ.

8 لماذا، في رأيِكَ، نَدِمَ الملكُ على قسوتِهِ، وتمنّى لو تعودُ ابنتُه إلى كنفِهِ؟

9 لماذا ألبستِ العجوزُ الأميرةَ الجميلةَ قناعاً يُمثّلُ وجهاً شديدَ البشاعةِ إلى حدٍّ جعَلَ الأميرَ الشّابَّ يقولُ: «واللهِ إنّ حماراً لا يَقعُ في حُبِّ فتاةٍ كهٰذهِ»؟

10 أكانتِ العجوزُ تُريدُ أن تطرُدَ الفتاةَ حينَ قالتْ لها: «آنَ لنا أن نفترِقَ»، أم كانتْ لها أسبابٌ أُخرى؟ علِّلْ إجابتَكَ.

11. كيفَ اكتَشفَ الأَميرُ أَنَّ الفتاةَ الشِعة نفسَها هي الأَميرةُ المفقودةُ؟

(2) مِن وَحْيِ النّصّ

1. أَتستهويكَ القصصُ الخُرافيّةُ أوِ الخياليّةُ، أم تفضّلُ القصصَ الواقعيّةَ؟ لماذا؟
2. هَل يَجوزُ للأهلِ أنْ يُفضّلوا أحدَ أولادِهِم على سائرِ إخوتِهِ؟ علّلْ إجابتكَ.
3. هَل تتحلّى أنتَ بالمروءةِ، فتُسارعَ إلى مساعَدةِ النّاسِ إذا شَعرْتَ أنّهم بحاجةٍ إليها؟ لماذا؟
4. كانَتِ الطّبيعةُ الّتي تُحيطُ ببَيتِ العجوزِ ساحرةً خَلّابةً؛ هَل تُحبُّ أنتَ مِثلَ هَذهِ الطّبيعةِ؟ وهَل تُحبُّ الارتماءَ في أحضانِها؟ لماذا؟
5. أَجمالُ الخَلْقِ أحبُّ إليكَ في الإنسانِ، أم جَمالُ الخُلُقِ؟ لماذا؟
6. وردَ في القصّةِ ذِكرُ اللّؤلؤِ والزُّمرّدِ؛ عدّدْ ما تَعرفُه غيرَهُما مِنَ الحجارةِ الكريمةِ والجواهرِ.
7. «إنّ أشهى المآكلِ لا طعمَ له إذا خلا مِنَ الملحِ»؛ أصحيحٌ هَذا الكلامُ، في رأيِكَ، أم لا؟ لماذا؟

(3) في التّعبيرِ واللُّغةِ

1. لخّصْ هَذهِ القصّةَ بما لا يُجاوزُ عشرينَ سطرًا.
2. «ونظرت الفتاةُ إلى الأَميرِ الشّابِّ فابتسَمَ لها، فاحمرّتْ وَجنتاها، وفي الحالِ دارَ بين قلبيهِما حديثٌ صامتٌ طويلٌ»؛

تحيَّلْ هَذا الحديثَ واسرُدْهُ لنا بأُسلوبِكَ.

3 قِفْ في حضرةِ الملكِ، ووجِّهْ إليهِ ما يخطُرُ ببالِكَ من عباراتِ اللَّومِ والعتابِ على ما فعلَهُ بابنتِه، مُكمِّلاً ما يلي. «عُذراً يا جلالةَ الملكِ، لقد...».

4 استخرِجْ من الفقرةِ التاليةِ الأسماءَ المنصوبةَ، واذكُرْ محلَّ كلٍّ منها في الإعرابِ: ثُمَّ عادَ يُحاولُ الخلاصَ من حملِهِ المُرهِقِ، ولكنَّ الكيسَ مُحكَمُ الوثاقِ، عبثاً حاولَ. ودارَ حولَ نفسِهِ تكراراً يُعالجُ الحِملَ اللَّعينَ... فقهقهَتِ العجوزُ ساخرةً وقالتْ: صَبراً يا سيِّدي.

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1 كيفَ كانَتْ حالةُ النّاسِ عندَما وقَفَتْ هُدى تتأمّلُهم يَسيرونَ في الشّوارعِ؟ ولماذا؟

2 لماذا كانَتْ هُدى دائمةَ التّفكيرِ في ما شاهدَتْهُ مِنَ السِّلَعِ الجميلةِ؟

3 كيفَ كانَتْ هُدى قد جمَعَتِ المَبلغَ الزّهيدَ الّذي كانَ في العُلبةِ الخشبيّةِ؟ ولماذا كانَتْ تجمعُه؟

4 لماذا تُدغدِغُ أمانيُّ السّعدِ والرّجاءِ أحلامَ النّاسِ، قُبيلَ الأعيادِ؟

5 ما الّذي يَدُلُّكَ على أنَّ هُدى ونبيلاً كانا يتبادلانِ حُبّاً صادقاً؟

6 ما سببُ الصّراعِ الّذي وقعَتْ فيهِ هُدى حينَ فكّرَتْ في بَيعِ شَعرِها؟

7 ولماذا تَجهّمَ وَجهُها وتَردّدَتْ في بَيعِ شعرِها عندَما توقّفَتْ أمامَ جُمَمِ الشَّعرِ المعروضةِ في واجهةِ محلِّ الحَلّاقِ؟

8 ما الهديّةُ الّتي فكّرَتْ هُدى في شرائِها لنبيلٍ؟ ولماذا كانَتْ ستَسُرُّهُ، في رأيِها؟

9 كيفَ كانَ نبيلٌ يَسعى إلى توفيرِ المالِ اللّازمِ لشراءِ هديّةٍ لهُدى؟ وهَل نجحَ في مَسعاهُ؟ ولماذا؟

10 ما الهديّةُ الّتي فكّرَ نبيلٌ في شرائِها لهدى؟ ولماذا لَم يشترِها لها من قبلُ؟

11 لماذا شعرَ نبيلٌ عندَما اشتاقَ إلى ضَمِّ زوجتِهِ، بأنَّ الثّواني تَنقضي بطيئةً، ثقيلةَ الخُطى، كأنَّ عجلةَ الزّمانِ قد توقّفَتْ عنِ

الدَّورانِ؟

12. هَل تَعتبِرُ ما قامَ به كلٌّ من نبيلٍ وهُدى تضحيةً في سبيلِ إسعادِ حبيبِه؟ لماذا؟

13. ما كانَ إحساسُ كلٍّ من نبيلٍ وهُدى بَعدَ شراءِ الهديَّةِ؟

14. كيف كانَ اللِّقاءُ بين هُدى ونبيلٍ عند وصولِهِ إلى البيتِ، وبعد تبادُلِ الهديَّتينِ؟

15. هَل في القصّةِ ما يَدُلُّ على أنَّ هُدى ونبيلاً لم يكُنْ لهُما أولادٌ؟ وضِّحْ إجابتكَ.

2 مِن وَحْيِ النَّصِّ

1. هَل أنتَ كنبيلٍ تُحبُّ الشَّعرَ الطَّويلَ عندَ المرأةِ؟ لماذا؟

2. قُبيلَ أيِّ عيدٍ تشعرُ أنتَ بالفرحِ، وتُدغدِغُ أمانيُّ السّعدِ والرَّخاءِ أحلامَكَ؟ ولماذا؟

3. ما الهديّةُ الّتي تَحلُمُ أنتَ بالحُصولِ عليها؟ وفي أيِّ مناسبةٍ؟

4. هَل تُحاوِلُ جمعَ بعضِ المالِ مِن مصروفِكَ الخاصِّ، في «قُجّةٍ»، لتشتري فيما بعدُ هديّةً أو هَدايا لِمَنْ تُحبُّ؟ علِّلْ إجابتكَ.

5. مَنِ الأشخاصُ الّذين ترغَبُ في تقديمِ الهَدايا إليهم؟ ولماذا؟

6. كانَ نبيلٌ يعملُ محاسِباً في إحدى الشَّرِكاتِ؛ أتميلُ أنتَ إلى الوظيفةِ المَكتبيّةِ أم تُفضِّلُ العملَ الحُرَّ؟ ولماذا؟

7. أتَرى المالَ ضروريّاً لتوفيرِ السّعادةِ في العائلةِ، أَم يُمكنُ لعائلةٍ أن تَعيشَ بسعادةٍ ولو لَم تكُنْ ميسورةً؟ علِّلْ إجابتكَ.

8. هَل رأيتَ أو هل عرفتَ ساعةَ جَيبٍ تُعلَّقُ بسلسلةٍ كالّتي كانتْ لنبيلٍ؟ صِفْها لنا ولو مُتخيِّلاً.

3 في التّعبير واللُّغة

1. حدّدْ نوعَ كلٍّ مِنَ الصُّورِ البيانيّةِ التّاليةِ، ثُمّ اشرَحْها مُبيّناً المعنى الّذي تُعبِّرُ عَنهُ:

وجوهُهُم تطفحُ بِشْراً ـ حتّى الشّارعُ قد لَبِس أبهى حُلّةٍ ـ تضُمُّ العُلبةَ إلى صدرِها ضمّ الأمِّ رَضيعَها ـ تُدغدغُ أحلامَ النّاسِ أمانيُّ السّعدِ والرّخاء ـ ما أجملَ شَعرَكِ يا حبيبتي ـ يُحاوِلُ أن يُلملمَ شتاتَ فِكرِه.

2. حوِّلِ الفقرةَ التّاليةَ إلى صيغةِ المُثنّى فصيغةِ الجمعِ، مُغيّراً ما يلزمُ تغييرُه، وضابطاً الكلامَ المُحوَّلَ بالشّكلِ التّامّ:

تناولتْ مُشْطاً خشبيّاً صغيراً لملمتْ به خصائلَ شعرِها وشكّلتْهُ في وسطِها، ثُمّ عادتْ إلى أعمالِ منزلِها. ولَم تَكدْ تخطو خُطوتينِ حتّى ارتدّتْ ببُطءٍ نحوَ المرآةِ.

3. دلَّ في كلٍّ من العباراتِ التّاليةِ على المفعولِ المُطلقِ أو نائبِهِ، ثُمّ حدِّدْ دلالتَهُ (للتّأكيد، لبيانِ النّوعِ، لبيانِ العددِ):

تضمُّها إلى صدرِها ضمّ الأمِّ رضيعَها ـ عشْرُ ليراتٍ وثمانونَ قرشاً سحَبْتها سحباً ـ لم تكَدْ تخطو خُطوتَينِ ـ كانَ مولَعاً به ولَعاً يَفوقُ حدَّ الوصفِ ـ تنقادُ لخُطاهُ انقيادَ التّائهِ الضّالِّ ـ ابتسمَتْ هُدى ابتسامةَ دلَعٍ ـ عُنِيَ بها أصحابُها أشدّ العناية.

4. علِّلْ كتابةَ التّاءِ طويلةً في كلٍّ مِنَ الكلماتِ التّاليةِ:

ابتساماتٌ ـ حَوتٌ ـ البيتُ ـ الوقتُ ـ بالذّاتِ ـ شتاتٌ ـ رفيقاتٌ ـ انهالَتْ ـ قدّمْتَ ـ دقّاتٌ ـ الحانوتُ ـ أنتِ ـ صَوتٌ ـ الصّيتُ ـ مَعَنْتِ ـ حصَلْتُ.

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1 كيفَ كانَ بعضُ زُبُنِ توفيقٍ يُسيئونَ إليه؟ ولماذا؟
2 لماذا كانَ توفيقٌ ينتعلُ حذاءً مُتفتّقاً فيما هو يصنعُ أحذيةً جديدةً للنّاسِ؟
3 لماذا اعتبَرَ توفيقٌ الفرقَ بينَ حالِهِ وحالةِ الأميرِ مِن سُخريّةِ القَدَرِ؟ علّلْ إجابتكَ.
4 هَل قامَ توفيقٌ فِعلاً بزيارةِ الزّبونِ صانعِ اللُّعبِ والأسهُمِ النّاريّةِ مرّةً ثانيةً، حاملاً إليه حذاءَهُ الجديدَ؟ علّلْ إجابتَكَ.
5 هَل ترى للزّيارةِ الأولى الّتي قامَ بها توفيقٌ إلى هذا الزّبونِ، علاقةً بالحُلمِ الّذي رآهُ؟ وضِّحْ إجابتكَ وعلّلْها.
6 هَل تُوافقُ توفيقاً على ما وصَفَ به إبليساً: «أنتَ سُلطانُ اللّيلِ والدّياجيرِ، وعَرشُكَ عَرشُ النّارِ والسّعيرِ، لا يُنازِعُكَ في جَبَروتِكَ مُنازعٌ، يَهابُ سطوتَكَ الرّفيعُ والوضيعُ، تحملُ في قَبضتَيكَ نارَ الدُّنيا وشهواتِها قاطبةً»؟ لماذا؟
7 لماذا، في رأيكَ، طلبَ توفيقٌ إلى إبليسَ أن يجعلَهُ أوّلاً صاحبَ ثَروةٍ وجاهٍ، ولَم يَطلُبْ شيئاً آخرَ؟
8 وماذا عادَ فطلَبَ بعدَ ذلكَ؟ وما كانَتْ حُجّتُهُ؟
9 ماذا يعني إبليسُ بطلبِه أن يمنحَهُ توفيقٌ روحَهُ بعدَ موتِهِ؟ علّلْ إجابتَكَ.
10 ما الّذي يدلُّ على قلقِ توفيقٍ على مالِه وجواهرِه، بعدَ أن أصبحَ غنيّاً؟
11 لماذا شعَرَ توفيقٌ بالنّدمِ، وتمنّى لو يعودُ إلى سابقِ عهدِه؟

12 لماذا استغرب النّاسُ إنشادَ توفيقٍ في الشّارع؟ وهَل هُم على صَوابٍ في استغرابِهم؟ لماذا؟

13 هَل كانتْ حياةُ توفيقٍ في ثرائه وغرقِه في الملذّات، مَصدرَ ارتياحٍ وسعادةٍ له؟ لماذا؟

14 كيف كان شعورُ توفيقٍ عندَما تبيّنَ له أنَّ كلَّ ما حصلَ كانَ مُجرّدَ حُلم؟ لماذا؟

15 أواقعيّةٌ هَذهِ القصّةُ أم خرافيّةٌ خياليّةٌ؟ علّلْ إجابتَك.

② مِن وَحْيِ النّصّ

1 لو كُنتَ فقيراً كتَوفيقٍ، فهل كُنتَ تقنَعُ بحيَاتك، عَملاً بالحكمةِ القائلة: «القناعةُ كنزٌ لا يَفنى»؟ لماذا؟

2 "كانتِ الدُّنيا كلُّها مَمالِكَ وإماراتٍ فيها الغنيُّ والفقيرُ، والقصرُ والكوخُ الحقيرُ»، أتغيّرتْ هَذه الصّورةُ في أيّامِنا، أم ما زالَتْ قائمةً؟ علّلْ إجابتَك.

3 أترغبُ في أن تَكونَ لكَ عائلةٌ كبيرةٌ كعائلةِ تَوفيقٍ، أم تُفضِّلُ العائلةَ الصّغيرة؟ لماذا؟

4 هل ترى لكثرة الأولاد في العائلةِ سبباً في غرق هَذه العائلةِ في الفَقرِ وضيقِ الحالِ المعيشيّةِ؟ علّلْ إجابتَك.

5 لَو كُنتَ مكانَ تَوفيقٍ في حضرةِ إبليسٍ، فهل كُنت طلَبْتَ ما طلَبَهُ تَوفيقٌ؟ لماذا؟

6 وهل كُنت وافقْتَ على منح إبليسٍ روحَكَ مُقابلَ ما طلبْتَهُ؟ لماذا؟

7 ما الأحلامُ الّتي تُدغدِغُ نفسَك وعقلَك، وتتمنّى لَو تتحقّقُ وتتحوّلُ إلى واقعٍ؟

③ في التّعبيرِ واللُّغةِ

1 أخذَ الحقلُ المُعجميُّ للغنى حيِّزاً واسعاً في أكثرَ من مكانٍ في القصّةِ؛ استخرِجْ هذا الحقلَ مُبيِّناً دورهُ في وصفِ حياةِ الأغنياءِ.

2 وجِّهْ رسالةً إلى الأغنياءِ تحثُّهم فيها على التّفكيرِ في الفُقراءِ، وعلى مساعَدتِهم واحترامِهم.

3 حدِّدْ محلَّ كلٍّ مِنَ الجُملِ الموضوعةِ بينَ قوسَينِ، في الإعرابِ:

عاشَ صائغٌ أحدبٌ (اسمُه توفيقٌ) ـ كانوا (يُسيئون مُعاملتَهُ) ـ مكثَ توفيقٌ في حانوتِهِ الضّيّقِ (يكدحُ) ـ هو (يُسامرُ اللّيلَ) بطولِهِ (يُعالجُ الشّغلَ) ـ مَن مِن سُكّانِ المدينةِ (لم يسمَعْ) بتلك الحقيقةِ؟ ـ ذلكَ المُتربِّعُ على عرشِ الثّروةِ والجاهِ، (يُقيمُ الوَلائمَ) لأنَّ اللهَ قد (رزقَهُ ولداً) ـ ذلكَ رجلٌ (أنعمَ اللهُ) عليهِ ـ باتوا (يُعِدّون العُدّةَ) ـ كانَ بعضُ المارّةِ (ينظرونَ) إلى توفيقٍ و(هُم يُجاوزونَهُ).

4 حدِّدْ وظيفةَ اللّامِ في كلٍّ مِن العِباراتِ التّاليةِ:

لا لتحصيلِ كفافِ رزقِهِ فحسْبُ، بَل ليأمنَ جانبَ بعضِ زُبُنِه ـ يا لَوقاحتِهِ ـ لقَدْ جئتُكَ بحذائِكَ ـ إنَّ مَرآهُ ليُثيرُ الاشمئزازَ ـ لِيبْقَ كلُّ شيءٍ على حالِهِ ـ لو علِمْتُ أنَّ الغِنى يُسبِّبُ القَلقَ، لَما طلبْتُ أن أُصبحَ غنيّاً.

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1. ما عَلاقةُ عُنوانِ هَذه القصّة بمَضمونها؟
2. ما كانَتْ غايةُ الصّديقَين سَعيدٍ ونَبيهٍ مِن رحلتِهما؟
3. لماذا كانَ نبيهٌ مُتعلّقاً بصديقه سَعيدٍ كتعلُّقِ الطّفل بأهدابِ أمّهِ؟
4. ما الوسيلةُ الّتي فكّرَ فيها سعيدٌ لكَسب المالِ في القَريةِ الّتي وصلَها مَع نَبيهٍ؟
5. كيفَ خطّطَ سَعيدٌ وصديقُه لتَنفيذِ عمليّةِ الاختطافِ؟
6. كيفَ بدأ التّنافرُ بينَ مرزوقٍ ونَبيهٍ؟
7. لِمَ اطمأنَّ مرزوقٌ إلى سَعيدٍ، وعرَضَ عليه أن يَقومَ الثّلاثةُ بنُزهةٍ طويلةٍ؟
8. لماذا كانَ نَبيهٌ يَمتنعُ في كلِّ مرّةٍ عَن ضَربِ مرزوقٍ على رُغم كلِّ الأعمالِ المُشينة الّتي قامَ بها تُجاهَهُ؟ وهَل تحمُّله كلَّ ما صَدَرَ عَن مرزوقٍ مُبرَّرٌ؟
9. ما رأيُكَ في الرِّسالة الّتي وجّهها أبو مرزوقٍ إلى سعيدٍ ونَبيهٍ ردّاً على رسالتِهما؟ وعلامَ تَدُلُّ من شخصيّةِ أبي مرزوقٍ؟ علّلْ إجابتَكَ.
10. لماذا غادرَ سَعيدٌ ونَبيهٌ القَريةَ سَعيدينِ، على رُغمِ الخسارةِ الّتي لَحِقتْ بهِما؟
11. ما العبرةُ أو العِبَرُ الّتي استَخلَصْتَها مِن هَذهِ القصّةِ؟

② مِن وَحْيِ النّصّ

1. لَو كُنتَ أنتَ الرّفيقَ الثّالثَ لسَعيدٍ ونَبيهٍ في رِحلتِهما، فهل كُنتَ وافَقْتَهُما على عمليّةِ الاختطافِ؟ لماذا؟
2. هَل أنتَ مِمَّنْ يُحبّونَ رِحلاتِ المغامَراتِ؟ وأيَّ نوعٍ مِنها تُحبُّ؟ لماذا؟
3. هل مُبرَّرٌ ابتزازُ الفُقراءِ لبعضِ الأغنياءِ أحياناً؟ علِّلْ إجابتَكَ.
4. هَل سبقَ لكَ أن دخَلْتَ كَهفاً أو مغارةً؟ إذا كانَ جوابُكَ بالإيجابِ، فأخبِرْنا عَمّا شاهدْتَ، وعَنِ انطباعاتِكَ.
5. في القصّةِ شبَّهَ مرزوقٌ نبيهاً بالغولِ. ماذا تَعرفُ عَن هَذا الحَيوانِ؟ وهَل أنتَ معَ تخويفِ الصِّغارِ بهِ؟ لماذا؟
6. هَل حصلَ لكَ أن رسمْتَ خِطَّةً ما، فارتدَّتْ عليكَ سلباً كما حصَلَ لسَعيدٍ ونَبيهٍ؟ أَخبِرْنا عَن هَذهِ الخِطّةِ ونتيجتِها.

③ في التّعبيرِ واللُّغةِ

1. أَعِدْ بأُسلوبِكَ الخاصِّ، صِياغةَ كلٍّ مِنَ العِباراتِ التّاليةِ، مُحافِظاً على المَعنى فيها:

- غادرَ الصّديقانِ مدينتَهُما في رِحلةٍ طويلةٍ سَعياً وراءَ المغامراتِ، لا يَحمِلانِ مِنَ المتاعِ غيرَ بعضِ المالِ لتَغطيةِ نفقاتِ السّفرِ.
- وطابَ للصّديقَينِ المُقامُ في تلكَ القريةِ، فبَقيا فيها فترةً من الزّمانِ، ووَقَفا على نَمَطِ حياةِ سُكّانِها وبعضِ عاداتِهِم.
- كانَ المُغامِرانِ الشّابّانِ يَجوبانِ طُرُقاتِ القَريةِ الضّيِّقةَ، على غيرِ هُدىً، فوَصَلا على مَقرُبةٍ مِن بيتِ أَبي مرزوقٍ، وخَطَرَتْ لأحدِهِما فِكرةٌ طَريفةٌ.

- وبَقِيَ الشَّقيّانِ واجمَينِ لحَظاتٍ طويلةً، لا يُصدِّقانِ كيفَ انقلَبَ الوضعُ على هَذِهِ الشَّاكِلةِ.

2. تصوَّرْ أنَّ سعيداً وسيهاً أصرّا على إتمام خطّتِهما، فكتبا إلى أبي مرزوقٍ رسالةً جوابيّةً يرفُضانِ فيها شروطَهُ، ويتمسّكانِ بشُروطِهما، فماذا قالا في رسالتِهما؟ (عَشَرةُ سطورٍ حدّاً أقصى).

3. صرِّفِ العبارةَ التّاليةَ: «لَم يَرَ أحداً»، معَ الضّمائرِ: هي، هُما (للمذكَّرِ)، هُما (للمؤنَّثِ)، هُم، هُنَّ، أنتَ، أنتِ، أنتُما، أنتُمْ، أنتُنَّ، ضابطاً الأفعالَ بالشَّكلِ التّامِّ.

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1. لماذا بَدَتْ هَناءُ في أوّلِ القصّةِ حزينةً يائسةً؟
2. هَل كانَ سَميحٌ ابنُ السّنواتِ التّسعِ يُساعدُ أمَّهُ ويَعملُ معَها في البُستانِ؟ مِن أينَ استَنتَجْتَ هَذا؟
3. كيفَ تملّكَ حليمٌ البيتَ والبستانَ قبلَ موتِهِ؟
4. لماذا طالبَ ابنُ المُزارعِ الغنيِّ هَناءَ بتسديدِ مَبلغِ الدَّينِ كاملاً؟
5. ولماذا لَم يَقتنعْ بأنَّ زوجَها كانَ قَد سدَّدَ لأبيهِ القِسمَ الأكبرَ مِنَ الدَّينِ، على رُغمِ محاوَلتِها بمُختلِفِ الطّرائقِ أن تُقنعَهُ بالأمرِ؟
6. هَل تَرى القاضيَ متسرِّعاً في حُكمِهِ؟ لماذا؟
7. كانَتْ عَيلةُ حليم عَيلةً مؤمنةً؛ أينَ ظَهرَ لكَ إيمانُها؟
8. وهَل خلَّصَ الإيمانُ هَناءَ وابنَها مِن مُشكلتِهِما؟ كيفَ؟
9. لماذا سُمّيَتِ الفراشةُ في هَذهِ القصّةِ فراشةَ الحقِّ؟ وضِّحْ إجابَتَكَ وعلِّلْها.
10. قالَ القاضي للشّابِّ المُدّعي، بعدَ انجلاءِ الحقيقةِ: «أعتقدُ أنَّنا كِلَينا أسَأْنا معامَلةَ هَذهِ المرأةِ، ونَصيبُنا في الإساءةِ واحدٌ»؛ هَل تَرى ما قالَهُ القاضي صحيحاً؟ وهَل يَنطبقُ علَيهِ وعلى الشّابِّ القَولُ المأثورُ: «الاعترافُ بالخطأ فضيلةٌ»؟ لماذا؟
11. هَل أعجبَتْكَ نهايةُ هَذهِ القصّةِ؟ لماذا؟
12. ما العِبرةُ أوِ العِبَرُ الّتي استخلَصْتَها مِن هَذهِ القصّةِ؟

② مِن وَحْيِ النّصّ

1. كيف يَنعكسُ موتُ ربِّ العَيلةِ عَليها؟ وماذا تقولُ أنتَ لأفرادِها في هَذهِ المأساةِ؟
2. أتحبُّ النّهاياتِ السّعيدةَ في القِصصِ، أَم تَميلُ إلى النّهاياتِ المأساويّةِ أوِ الغامضةِ؟ لماذا؟
3. أَترغبُ في أَن تَكونَ لكَ قِطعةُ أرضٍ تزرعُها وتهتمُّ بها؟ لماذا؟
4. ما رأيُكَ في مَن يُخطئُ ثُمّ يَعترِفُ بخَطئِهِ نادماً ومُعتذِراً؟ علّلْ إجابَتَكَ.
5. هَل مَرَرْتَ يوماً بمِثلِ هَذهِ التّجربةِ فارتكَبْتَ خطأً ثُمّ اعترَفْتَ به واعتذَرْتَ عَنهُ؟ أَخبِرْنا.
6. ما الصِّفاتُ الّتي يَجبُ أَن تَتوافرَ في القاضي؟ وهَل تَرغبُ أنتَ في أَن تُصبحَ قاضياً؟

③ في التّعبيرِ واللُّغةِ

1. أَعِدْ ترتيبَ الكَلماتِ لتحصُلَ على جُملةٍ صحيحةٍ:

- بعدَ ـ جَبينُهُما ـ ارتحالِ ـ بها ـ الشّمسِ ـ تندّى ـ هَبَّتْ ـ عَرَقٍ ـ نَسمةٌ ـ حبّاتِ ـ عليلةٌ ـ وجَفّفَتْ ـ داعبَتْ ـ وسميحٍ، ـ وَجهَيْ ـ هَناءَ.
- وعادَتْ ـ الصّغيرِ ـ تُفكّرُ ـ ابنِها ـ في ـ عَنِ ـ حالِها ـ حُزنَها ـ البائسةِ، ـ وتُخفيَ ـ فبَكَتْ، ـ بنَفْسِها ـ وقامَتْ ـ لتَختليَ ـ إلى الدّاخلِ.
- شبَكَتْ ـ مِنها ـ هَناءُ ـ بالقُربِ ـ أصابعَ ـ سميحٌ ـ يَدَيْها،

ـ وجَثا ـ وخَرَّتْ ـ فَوقُ. ـ على ـ إلى ـ رُكبتَيها، ـ ونظَرَتْ.

2. حدِّدْ أركانَ كلٍّ مِنَ الإستعاراتِ التّاليةِ (المستعارَ منهُ، المستعارَ له، اللّفظَ المُستعارَ والجامعَ أو وجهَ الشَّبهِ)، ثُمّ اشرَح المَعنى في كلِّ استعارةٍ:

- تعانقَتْ فيهِ غِراسُ البَندورةِ والتُّربةُ الحمراءُ.
- تَرتسِمُ البراءةُ على مُحيّاهُ.
- يَمسحُ مُهجةَ أمِّهِ ببعضِ التّعزيةِ والسّلوى.
- كانَ البَدرُ يَسترِقُ النَّظرَ.

3. حوِّلِ الأمَّ في ما يَلي إلى صيغةِ المُثنّى فصيغةِ الجَمعِ، وغيِّرْ في العِبارةِ ما يَلزَمُ تغييرُه، ضابطاً بالشّكلِ التّامِّ:

«وبَقيَتِ الأمُّ فترةً طويلةً تتقلّبُ في سريرِها وهي تَتمنّى لو أنَّ اللّيلَ يَتقلّصُ ويتلاشى، لتَذهبَ إلى القاضي، فيعيدَ النَّظرَ في أمرِها، ويَستتبَّ لها الحقُّ والأَمانُ».

محتوى الكِتابْ